من رسائل الأب صفرونيوس

حياة الصلاة الأرثوذكسية للمبتدئين

من رسائل القديس صفرونيوس

حياة الصلاة الأرثوذكسية
للمبتدئين

اسم الكتاب : من رسائل القديس صفرونيوس
حياة الصلاة الأرثوذكسية للمبتدئين

الناشر : جذور للنشر والترجمة والتوزيع
ت: ٢٦٣٣٨١٣٧

رقم الإيداع : **٢٠١٥/١١٥١٢**

المحتويات

صفحة

١- حياة الصلاة الأرثوذكسية للمبتدئين ٥

٢- جوهر الصلاة ٦

٣- الإيمان يبدأ بالتوبة ٨

٤- جوهر الإيمان ١١

٥- أنواع الصلاة، وجوهر الإيمان ١٣

٦- ضبط الفكر ٢٤

٧- طهارة الجسد، ونقاوة المخيلة ٢٨

٨- طهارة النيَّة ٣٤

٩- محبة القريب، ومحبة النفس ٣٥

١٠- كيف نصلِّي صليب يسوع المسيح بالرُّوح القدس ٣٨

١١- الصلاة، وسِّر الشكر ٤٠

١٢- المذبح المقدس السمائي ٥٤

١٣- تحوُّل الخبز والخمر باستدعاء الرُّوح القدس في الليتورجية السمائية.. ٥٩

١٤- لماذا أعطانا الرب جسده ودمه في شكل الخبز والخمر؟ ٦٠

١٥- تجلِّي المسيح المُحيي في سر الإفخارستيا ٦٢

١٦- جسد المسيح هو الذي يُكمِّل وجودنا الجسداني والروحي،
ويجعلنا واحداً معه، ومع الآب بالرُّوح القدس ٦٥

١٧- الصلاة ومواهب الروُّح القدس ٧٢

صفحة

١٨- الذبائح الروحية التي نقدِّمها كل يوم ٨٣

١٩- الذبائح وذبيحة سِّر الإفخارستيا ٨٥

٢٠- الإفخارستيا تكمِّل المحبة الإنسانية الناقصة ٩٠

٢١- تناول الجسد، وشركته في الأسرار الإلهية ٩٣

الخاتمة ٩٤

مقدمة

صفرونيوس عبد يسوع المسيح، وخادم أسرار العهد الجديد يسأل بركة صلواتكم، ساجداً لإله المراحم الآب السماوي الذي أعطانا حياة ابنه الوحيد لتكون صلاةً وخدمةً لنا، وأفاض علينا من محبته في الرُّوح القدس؛ لكي يرفعنا بقوة الروح من الحياة الأرضية الترابية إلى الحياة السمائية مُعطياً لنا رتبة الحياة الجديدة، التي جذرها في يسوع المسيح، أساس وصخرة كل ما هو أبدي.

أسباب كتابة الرسالة[1]:

أكتُب إليكم في إيجازٍ كافٍ عن أساس كل ما هو صالحٌ، أي الإيمان والصلاة، سائلاً من محبتكم، بل متوسلاً أنْ تنال كلمات التعليم التي أكتُبها لكم، مكاناً في قلوبكم.

١- تُعد هذه الرسالة من أطول رسائل الأب صفرونيوس، ويبدو أنه كتبها قبل كتابة المئوية الأولى عن القيامة، والثانية عن الإفخارستيا. وننوه إلى أن تعليم الأب صفرونيوس عن الإفخارستيا جدير بالاهتمام والدراسة.

جوهر الصلاة

١- **الصلاةُ حسب تعليم ربنا يسوع المسيح نفسه** - الذي علَّم ومارَس الصلاة - **هي تحوُّلٌ دائمٌ للطبيعة الإنسانية، وتشبُّهٌ دائمٌ بالآب السماوي، الذي أعلنه ابنه الوحيد ربنا يسوع المسيح**، الذي قال: «فكونوا أنتم كاملين كما إنَّ أباكم الذي في السموات هو كامل» (مت ٥: ٤٨).

٢- **إنَّ غاية الصلاة هي أنْ نتَّحِد بالآب السماوي**، وأنْ نكون معه واحداً، كما يقول ربنا يسوع المسيح: «ليكونوا واحداً فينا»، **وغاية الصلاة يعملها الرُّوح القدس؛ لأننا لا يمكن أنْ نكون مثل الله بقدراتنا، بل بقوة وعطية الرُّوح القدس الذي يسكن فينا لكي يحوِّلنا إلى صورة الله**، ولكي ننال عطية الحياة الجديدة التي صوَّرها ربنا يسوع المسيح في تجسُّده وصلبه وقيامته، فقد أعاد ربنا خلق الإنسانية مِن جديد بتجسُّده مِن القديسة مريم والدة الإله عندما نقل الإنسانيةَ مِن العدم الذي خُلِقَتْ منه إلى عطية الحياة بالرُّوح القدس، رب الحياة وواهب كل العطايا. **ومَن يُصلِّي ينتقل مِن الطبيعة الآدمية القديمة الساقطة التي خُلِقَتْ من لا شيء، إلى الطبيعة الإنسانية الجديدة التي كوَّنها ربنا يسوع المسيح عندما تجسَّد من العذراء**، وصار بذلك آدم الثاني، رأس الخليقة الجديدة التي نُقِلَتْ من العدم إلى الحياة عديمة الموت، بإتحاد لاهوته بالناسوت الآدمي الذي أخذه مِن العذراء، فنَقَل بذلك أصلنا مِن هاوية العدم إلى الأساس الراسخ والثابت، أي إلى أُقنومه الذي قال: «أنا هو الحياة».

٣- وكما تكوَّن آدم الجديد بالرُّوح القدس، هكذا نتكوَّن نحن في المسيح بقوة وعمل الرُّوح القدس نفسه الذي ينقلنا مِن العدم الذي هو أصل آدم الأوَّل

إلى المسيح الذي هو أصل الخليقة الجديدة؛ لكي نصير فيه أطهاراً بالإيمان وبالتحوُّلِ إلى صورته، وبعمل الرُّوح القدس الذي يأخذ مِن المسيح ويُعطِي لنا الحياة الإنسانية المقدسة الجديدة التي كوَّنها الرَّبُ يسوع المسيح.

٤- **إنَّ غايةَ الصلاةُ هي أنْ ننتقل بقوة الرُّوح القدس من آدم الأوَّل إلى آدم الأخير**؛ لأننا بكلمات الصلاة، وبمعرفة الإيمان، ننتقل من الحياة القديمة «الفاسدة بشهوات الغرور»، والخطية إلى الحياة الجديدة التي أعلنها الرَّبُ في بداية الإنجيل «توبوا وآمنوا بالإنجيل» (مرقس ١: ١٥).

٥- **أمَّا غايةُ الإيمان، فهي التشبُّه بالمسيح**. أمَّا جوهر الإيمان فهو الصلاة، ولذلك علَّمنا ربنا يسوع المسيح أنْ نبدأ الصلاة بقولنا «أبانا الذي في السماوات»؛ لأننا بنعمة البنوة ننتقل من رتبة آدم الأوَّل إلى رتبة آدم الثاني، وهو ما ننطق به؛ لأنَّ الرسول يقول «الكلمة قريبة من لسانك»، ويقول أيضاً «بالنعمة أنتم مُخلَّصون، وهذا بالإيمان، وهو ليس منكم، بل هو عطية الله» (أف ٢: ٨). **ونحن ننتقل بالإيمان مِن الوجود حسب الطبيعة الساقطة إلى الوجود حسب الحياة الجديدة بنعمة ربنا يسوع المسيح، وننتقل إلى هذه الحياة الجديدة – عقلياً – بالإيمان، وبه ندخل شركتنا مع الآب في ابنه يسوع المسيح ربنا** (١ يوحنا ١: ٣). وإذا قُلنا عقلياً، فهذا لأننا نظل – حسب الجسد – نعيش الحياة القديمة الخاضعة لأهواء الطبيعة القديمة، و»للبُطل» الذي أُخضِعَت له الطبيعة القديمة في آدم الأوَّل، حسب كلمات رسول ربنا يسوع المسيح (رو ٨: ١٨ وما بعده). وتدخل هذه الرؤية [٢] القلب بكلمات الإيمان وبالتعليم الرسولي الذي استلمناه في الأمانة الأُرثوذكسية (قانون الإيمان).

٢- الثاؤريا أو الثيؤريا حسب النص القبطي وهي رؤية داخلية تقود إليها حياة التأمل. راجع كتاب حياة الصلاة الأُرثوذكسية للأب متى المسكين.

الإيمان يبدأ بالتوبة

١- يبدأ الإيمان برفض الشَّر والخطية. وهو رفضٌ تزرعه كلمة التعليم، أي أنَّ الإيمان يبدأ بالتوبة عن الأعمال التي تقود إلى الموت، والأفكار التي هي بذرة الخطية.

٢- **لقد عَلَّمْ الشَّرُ الإنسانَ الأوَّل أنْ يُنكر شَركته مع الله خالقه**، ومع الخليقة التي خُلِقَ لكي يرعاها. **فقد طلب مجد الألوهة بدون شَركة**، عندما سمع صوت غواية الحية الذي قال «يوم تأكلان منه تنفتح أعينكما، وتكونان كالله عارفين الخير والشَّر»(تكوين ٣: ٥)، **وهكذا علَّم الشَّرُ الإنسانَ الأوَّلَ أنْ يكون هو ناموس وشَريعة الخير والشَّر، وأنْ يحتقر حدود الطبيعة المخلوقة التي خلقها الله، وكوَّنها حسب مسرته**، فصار بذلك يحتقر مسرة الله وعطفه ومحبته، وتحوَّل من رتبة الطاعة، وشَركة القوات السمائية إلى رتبة الشيطان، وشَركة الأرواح الشريرة التي قادها الشيطان عندما خاطب ذاته قائلاً «أرفعُ كرسيَّ فوق كواكب الله، أصير مثل العلي» (أش ١٤: ١٤). **وبسقوط الشيطان أولاً، ثم بسقوط آدم، صارت شَريعةُ الخير والشَّر لدى الشيطان والإنسان، شريعةً ذاتيةً يُحدِّدها كل منهما حسب أهواء وفكر قلبه، فيرفض كلاهما ناموس خالقه، ويُحدِّد كل منهما الخير والشَّر حسب رغبات وشهوات الإرادة والفكر، وليس حسب إرادة الخالق.**

٣- وهكذا، **يبدأ الإيمان بالتوبة عن شَريعة الخير والشَّر التي حددها الشيطان وآدم، أي الشَريعةُ الذاتية التي لا دخل لله فيها**. فالله يعرف الخير ولا يعرف الشَّر؛ لأنه لم يخلق الشَّر، بل خلق الخير والصلاح وحده، أمَّا فساد الخليقة، فهو الشَّر الذي خلقه الإنسان بغواية الحية. وصار الشَّر الذي خلقه

الإنسانُ لنفسه هو انحدار الخليقة العلوية الساقطة أولاً بغواية الشيطان، ثم الخليقة الأرضية بسقوط الإنسان، نحو حكم ذاتها بذاتها واستقلالها عن الله. حدث هذا على مستوى العالم الروحي، ثم بعد ذلك على مستوى الخليقة الأرضية، وامتزج عصيان القوات الساقطة مع آدم الأوَّل، وصار مزيج مبادئ الخير وشَريعة الصلاح، بمبادئ الشَّر وشريعة الشَّر، هو ما نراه في الحياة.

٤- لقد جاء ربنا يسوع المسيح لكي يُعلِّمنا أولاً، كيف نُدرِك الفرق الجوهري بين الخير والشَّر، **فأسَّس بذلك شَريعة الصلاح على أساس المحبة والطاعة للوصايا، وغَرَسَ الصليبَ كجذرٍ للتعليم الصحيح عن الخير والشَّر؛ لأنه جعل مقياس المحبة الحقيقية هو البذل، ومقياس الطاعة هو قبول الألم،** والابتعاد عن التواني والكسل، والسعي إلى المجد من خلال البذل، لا من خلال الاستيلاء؛ لأن الاستيلاء على مجد الله كان بذرة الخطية التي زُرِعَت في فكر الإنسان الأوَّل بغواية الحية. وهكذا كل مَن يقبَل الصليب، يتعلم كيف يُميِّز بين الخير والشَّر على أساس المحبة والبذل، لا على أساس الاستيلاء.

٥- **ومِن الصليب نُدرِك أنَّ الاحتفاظ بالحياة هو استقلالٌ عن الله،** وهو ذلك الاستقلال الذي يُقوِّي فينا ذلك «**الخوف القديم**»، أي الخوف من الموت؛ لأننا بالاستقلال عن الله نزرع في ذواتنا بذرة الموت؛ لأننا نفقد رؤية مصدر الحياة، أي الله. عند ذلك، نرى حياتنا المحدودة الخاضعة لتهديد الموت، وهو ما يزرع بذرة الخوف من الموت، ومن ثم تتحول الحياةُ إلى صراعٍ من أجل البقاء.

٦- لقد جاء الرَّبُ يسوع المسيح في الجسد، وأخذ قضية الموت، وضمها إلى الصليب، أي أنه بدأ مِن نهاية الحياة، بعد ما بدأ من بداية الحياة مُتجسِّداً من القديسة مريم والدة الإله. تجسَّد كبدايةٍ؛ لكي يصل إلى حدود الحياة التي حددتها الخطية حسب قول الرسول «أُجرة الخطية»، التي دفعتها الخطية «هي الموت»، **فقد حددت الخطية قيمة الحياة بالموت،** أمَّا «هبة الله، فهي حياة أبدية بالمسيح يسوع ربنا» (رو ٦: ٢٣)، وعندها تحوَّل الموت في المسيح

يسوع، أي موت الصليب إلى بداية حياة جديدة.

وهكذا أخذ الرَّب قضية الموت، وحوَّلها – بالموت مصلوباً – إلى حياة عدم الموت؛ لأنه «بالموت داس الموت»، وكيف؟ بأنْ داس على الموت بقبول الموت، وأخذه في جسده ونفسه لكي يبيده، مثل المُحارِب القوي الذي يمسك بخصمه ويصرعه ويقضي عليه.

٧- **وبالموت جعل الرَّبُ نهاية الحياة الآدمية هي بداية الحياة حسب النعمة.** فقد مات الرَّبُ على الصليب لكي يرفع راية الحياة، أي الصليب مثل علم يرفرف على كل الدهور. **وعندما قَبِل الرَّبُ الموتَ على الصليب لأجلنا، جعل قبول الموت هو بداية الحياة الجديدة، أي تلك الحياة التي بالإيمان تقبل أنْ نموت معه ونحن أحياء؛ لكي نغرس الصليب في إرادتنا، أي نصلب الإرادة، وذلك بقبول الموت إرادياً، ونغرس الصليب في فكرنا، أي نصلب العقل عندما نجعل البذل شريعة الحياة الفكرية، ذلك البذل الذي نتعلمه من المحبة.** هنا فقط تُولد طاعة المسيح، وليس طاعة العالم، أي طاعة المحبة المصلوبة، وليس طاعة العبيد مسلوبي الإرادة.

٨- **وبالصليب نتطهر فكرياً بالإيمان بقوة المحبة،** ويتطهر العقل من طغيان الذات، ومحبة الذات أكثر من أي شيء آخر؛ لأن هذه المحبة المُفرِطة في الحرص على الذات هي التي تجعل «**الخوف القديم**»، وذلك «**الحس الخفي**» ينمو فينا حتى يطغى حب الذات على محبتنا لخالقنا الآب السماوي، آب ربنا يسوع المسيح.

٩- **وهكذا يغرس الصليب، شريعة إفراز الخير مِن الشَّر،** وذلك عندما يفرز لنا معرفة ذلك الخوف القديم الذي زرعته فينا الشهوات والخطية، والذي يجعلنا نتوهم أننا نملك ينبوع حياة في داخلنا، وهو وهمٌ وخداع؛ لأننا نفشل في إدراك الحقيقة الخفية التي تعمي عيوننا عن رؤيتها، **وهي إنَّ الله وحده هو ينبوع الحياة.**

-٣-

جوهر الإيمان

١- يقول الرسول بولس «أمَّا جوهر الإيمان، فهو الثقة بما نرجوه، والإيقان بأُمور لا تُرى» (راجع عب ١١: ١). إن هذا يعني أننا نظل نرى الحياة في شكلها الآدمي الأوَّل الغريب عن الله، إلى أنْ نؤمن بالمسيح، فنرى الحياة التي جاد بها المسيح: أي تلك الحياة التي جاد بها، ولها جذرٌ في الحياة الحاضرة المرئية، أي حياتنا نحن التي نراها، وتلك التي نراها في المسيح بواسطة كلمات التعليم، والتي غرسها الرَّب بتجسُّده، أي حياة عدم الموت، أي القيامة وحياة الدهر الآتي، التي قال عنها الرسول «الإيقان بأُمور لا تُرى»؛ لأنَّ ربنا صعد إلى السموات، و لم نعد نراه بعيون الجسد، بل بعين الإيمان. ومن كلمة التعليم نعرف ما أعلنه لنا ربنا يسوع المسيح له المجد عن الحياة الحاضرة، والحياة الآتية، وعن انسكاب الرُّوح القدس، وشَركتنا مع الآب.

٢- وتطرد كلمة التعليم جهل الإنسان الذي منه تدخل شُرورٌ كثيرة مثل: التهاون في الأُمور الدائمة الأبدية، التكاسُل عن المحبة، وتفضيل أنفسنا على الله نفسه.

٣- غرسَ الشَّرُ في عقل الإنسان تفضيل ما هو مرئي على ما هو غير مرئي، وقبول ما هو منظور بسهولةٍ أكبر مِن قبول ما هو غير منظور. فحدث بذلك اختلال في حكمة وإدراك الإنسان، وصارت العظمةُ الكاذبة نابعةً من أوهام العقل، الذي يضع مقاييس ومعايير كاذبة عن نفسه، وعن الله، وعن الخليقة، مما جعله ينسى أنه صورة الله ومثاله.

٤- جاء الرَّبُ، ابن الله، الكلمة، وتجسَّد؛ لكي يخلع فكر العظمة الكاذبة من قلب الإنسان، وذلك بإخلاء ذاته وقبول صورة العبد (فيلبي ٢: ٧) ولما قَبِلَ صورة

العبد وهو الابن بالطبيعة، أراد أنْ يجعل هذه الصورة مقبولة لدى الإنسان نفسه، إذ جعله يرى كيف وهو ابن الآب بالطبيعة وحسب الجوهر، يحيا في صورة العبد، مُعلِناً لنا بذلك طريق الحياة الجديدة.

٥- ولما مات على الصليب، مات كابن، وقَبِل إرادة الآب بمحبة الابن، فحرر الموتى من العبودية للخوف، وجعل الموت بداية تحوُّلٍ الطبيعة الإنسانية من عبودية الموت إلى حرية الذبح بالصليب، وأعطى قوة الرُّوح القدس لكل الذين يسألون أنْ يُصْلَبوا معه، وأعلن بذلك طريق الحياة التي تُمسَح بالروح وبالقوة السمائية مُعلناً بذلك التصاق قوة الروح بالصليب كطريقٍ واحدٍ حقيقيٍ للمجد الأبدي.

٦- هذا هو إيمان ربنا يسوع المسيح الذي لا يوجد فيه «**نعمٌ**»، و «**لا**»؛ لأن التردد وثنائية الفكر [٣] أي الفكر الذي يتزعزع بين قبول الصليب، وهو الـــ«**نعم**»، ورفض الصليب الذي هو الـــ«**لا**»، لا وجود له في الصليب. وصارت «**نعم**» المحبة هي «**لا**» الشَّر.

٣- أو انقسام الفكر.

أنواع الصلاة، وجوهر الإيمان

١- الصلاةُ أنواعٌ ودرجات. تبدأ الصلاةُ عندنا نحن المتبدئين، بالتوبة، وترتفع بالشكر وتُحلِّق في آفاق الرُّوح القدس نحو معرفة ما لا يُعرَف وإدراك ما لا يُدرَك، وهو الثَّالوث القدوس الآب والابن والرُّوح القدس.

٢- وبالتوبة نتعلم التوسُّل؛ لأننا نصلِّي سائلين من الله ما لا نملك. وبالصلاة ندرك فقر طبعنا الإنساني وحاجتنا إلى النعمة. ومَن يصلِّي يدرك مِن الطِلبة أنه لا يملك؛ لأن الاستيلاء هو بذرة الخطية الأولى التي شَرِبَت من العظمة الكاذبة، وكبرت بغواية الحية القديمة.

٣- جاء الرَّبُ، وعلَّمنا التوسل والطلبة؛ لكي ندرك من التوسل صلاح الله، وجُود طبعه، وبالثبات في الطِلبة، ندرك غاية حياتنا.

٤- **اللجاجةُ في الصلاة ليست موجهةً إلى الله، بل إلى القلب الإنساني نفسه؛ لأننا بالإلحاح واللجاجة نتعلم كيف نغوص في أسرار القلب، وندرك خفيات النية والدوافع.** وما أكثر المرات التي نطلب فيها ما لا يليق، وما لا يجوز. **اللجاجة هي ثبات القلب ورغبته التي تزداد وضوحاً بمرور الزمن.** لنثبُت في الصلاة حتى نتعلم من شركتنا مع المسيح وفي المسيح حقيقة نوايا القلب، وخفيات الروح الذي فينا (أي الرُّوح الإنساني)، الذي يخفى علينا جوهره وأسراره ومقاصده. والرُّوح الذي فينا هو ما تكوَّن فينا من أفكار وعادات، وممارسات، ومشاعر، تجمعت كلها في القلب، وصارت مثل القوة المحركة لكل ما فينا، ولكل ما نفعل في الحياة.

بالصلاة نغوص في أعماق العادات والاعتقادات والأفكار والمشاعر التي تجمَّعت

في حياتنا، وجعلتنا نعيش حسب كل هذه الأُمور، التي بعضها باطلٌ وردئ، وبعضها ليس شَّراً، ومع ذلك قد يعطِّل الحياة ويصبح العائق الذي يؤخِّر توبتنا.

الصليب بداية الصلاة

٥- صلاة التائبين تبدأ بالصليب، وتنتهي بالقيامة، أي قيامتنا نحن في اليوم الأخير.

٦- الصلاة التي تبدأ بالصليب، ليس فقط برشم الصليب، وإنما بطلب الالتصاق بالصليب، لا يمكن أنْ تتحوَّل إلى طريق الشَّر. أقول هذا بيقين؛ لأن مَن يطلب أنْ يكون مع يسوع المصلوب لا يمكنه أنْ يُصلِّي ضد أعداءه، أو يطلب الشَّر للذين يكرهونه، أو يصلِّي من أجل نجاحٍ في تنفيذ أُمور شريرةٍ.

لنقف عند الصليب لكي نتعلم من يسوع المصلوب كيف نسلِّم كل شيء للآب: الفكر والإرادة والمشاعر والنفس والجسد، وكل الأُمور الخاصة بالحياة الحاضرة؛ لأننا عندما نفعل ذلك - بمحبةٍ - نقترب مِن معرفة الأُمور الآتية. **فالصليب هو نافذة الحياة الآتية، أي تلك التي خلقتها المغفرة، وجعلت المحبة الإلهية جوهرها هو المحبة والعطاء.**

أُنظروا ماذا يقول الرَّب نفسه «لا تخف أيها القطيع الصغير، (أي قطيع الحِملان، لا تخف من الصليب)؛ لأن الرَّب قد سُر أن يعطيكم الملكوت» (لو ١٢: ٣٢). ولذلك قال بعدها: بيعوا ما تملكون وأعطوه صدقةً (راجع لو ١٢: ٣٣) وهذا هو طريق المصلوب الذي تجرَّد من كل الأشياء، حتى ملابسه أُخذت منه بإرادته، لكي يُصلب عارياً، أمَّا هو فقد رأى مجده في التحرر من القنية، أمَّا جنود الرومان ورؤساء اليهود، فقد اعتبروا هذا عاراً. يا لغرابة هذا التعارض. ما يحسبه الرومان واليهود عاراً، هو ما يحسبه الرَّب نفسه مجداً وخلاصاً ومحبةً للآب. **هكذا قَلَبَ الصليبُ موازين ومقاييس كل الأشياء. لنحيا حسب الصليب، ونلبس الصليب في القلب، وفي النية الداخلية؛ لكي إذا ما غاص الصليب واستقر في أرواحنا، وصار هو**

الاعتقاد والشعور والإرادة، تحوَّلت أرواحنا إلى شبه يسوع المصلوب.

٧- **الصليبُ هو صلاة التائبين، والتوبة ليست في الامتناع عن الشَّر؛ لأن هذه هي توبة الأُمم، وإنما توبة المسيحيين هي في قبول الصليب. إذ تركنا الشِّرور كلها بدون الصليب لا نقترب خطوة واحدة من المسيح، بل نغترب عنه في نُسكٍ وصومٍ وصلواتٍ تزيد العجرفة**، وتجعل سطوة الكبرياء أعظم؛ لأننا لا نرى أثناء هذه المُمارسات الأُممية (من الأُمم) خطايانا، بل «**برنا الذاتي**» الذي يجعلنا لا نرى خفايا القلب، بل تحت ستار التقوى الكاذبة من صومٍ وصلاةٍ، نصبح أمواتاً دون أنْ ندري أننا «أمواتٌ بالذنوب والخطايا».

٨- تبدأ التوبةُ بالصفح عن الأعداء والمسيئين. هذا صعب علينا جميعاً، ولكننا كما نرى في الصلاة الرَّبانية، تتوسط هذه الطلبة باقي الطلبات، بل جعلها الرَّب مقياس الحياة الحقيقية مؤكِّداً بعد ما علَّمنا الصلاة، إننا إذا لم نغفر للناس زلاتهم، لا يغفر لنا الآب السماوي زلاتنا (مت ٦: ١٤، ١٥). لنتب أولاً عن الكراهية والأحقاد، ولنسامح بعضنا البعض حتى تكون صلواتنا مقبولة لدى الله.

٩- وتتدرج التوبة بقوة الصليب والمصلوب لمواجهة التجارب؛ لأننا عندما نقول: «لا تُدخلنا في تجربةٍ»، أي لا تضعنا في مواجهة «الامتحان» أي امتحان الإيمان، وهو غير امتحان التنقية، الذي يقول عنه المزمور «نقِ قلبي وكليتاي»(مز ٢٦: ٢)؛ لأن «امتحان النوايا» ونقاوة القلب التي يقوم فيها الرُّوح القدس بكشف وإعلان هذه النوايا من أجل تنقية القلب، هي التي تقودنا إلى الصلاة النقية.

امتحان النوايا الذي يقوم به الرُّوح القدس يتميَّز بما يلي:

أولاً: الرجاء في رحمة المسيح وغفرانه.

ثانياً: السلام الذي يجعل القلب منشغلاً، ليس بالصراع الداخلي - رغم وجوده - بل بالثقة في أنَّ الذي كشف لنا عن خبايا القلب، سوف يشفي ويجدد حياتنا القديمة.

١٠- أمَّا فحص النية بنور كلمة الله، فهو أيضاً يقودنا إلى فحص الرُّوح القدس الذي أعطى كلمة الله الحية للأنبياء والقديسين والآباء الرُّسل، فإذا قرأنا كلمة الله الحية، سكب الرُّوح القدس «روح الحياة، الذي أقام يسوع المسيح من الأموات» قوة الحياة فينا لكي نقبل الحق الذي في كلمة الله.

صعوباتٌ في صلاة المزامير

١١- مَن يقرأ المزامير ويجد فيها روح الانتقام والثأر من الأعداء وطلب الخراب، لم يتنقَ بعد بعمل الرُّوح القدس؛ لأن الرُّوح القدس ينقي القلب، ويكشف في صلاة المزامير حقيقة مشاعر الإنسان تجاه الآخرين [٤] مِن بغضةٍ وعداوةٍ وانتقام. وقد وردت هذه العبارات بقصدٍ واضح، وهو أنْ يرى فيها الإنسان حقيقة ذاته وحقيقة حياته، ويطلب من الرُّوح القدس أنْ يرتفع بقوة الرُّوح فوق هذه الطلبات التي تُعبِّر أدق تعبيرٍ عن الحياة الإنسانية الطبيعية غير الملتزمة بشريعة الصليب والكامنة في قلب كل إنسان، ونرتفع إلى فوق، إلى آفاق الرُّوح القدس حيث يجد المُصلِّي إنه على الجلجثة مع يسوع ربنا ويصلب معه هذه الأهواء، ويطلب سلام وحياة وصحة وخلاص الأعداء كما يطلب سلام وصحة وخلاص الذين يحبهم.

١٢- لنُصلِّ المزامير في زمان التوبة - أي أيام العمر كلها - حتى إذا وجدنا أنفسنا غارقين في الجهاد الروحي ضد العداوة والبغضة، وكشفت كلمات المزامير عن رغبتنا في الانتقام، تحوَّلت الطلبة إلى توبةٍ كاملة، وتضرُّعٍ لا ينقطع من أجل خلاص وسلامة قلوبنا من المرض القديم، أي الخوف الذي هو مصدر العداوة والبغضة. وكما أنَّ الخوف هو مصدر العداوة، فإن العداوة تزيد قوة الخوف، وتجعل الخوف سيد العداوة، والعداوة خادمة الخوف، لنربط الخوف بالصليب حتى يشفي المسيحُ المصلوب القلبَ من العداوة بالمغفرة، ويكسر السلسلة القوية

٤- مِن المعروف أن المزامير التي اُختيرت بعناية شديدة في ''صلوات السواعي'' حسب ترتيب آباء الكنيسة القبطية هي المزامير التي تخلو من العبارات الشائكة التي تطلب هلاك الأعداء، وهي لذلك تحصر الصلوات اليومية في هذا المستوى العام الذي يجب أن نبقَ فيه حتى نصل إلى المستوى الذي يجعلنا نرتفع إلى قراءة مشاعرنا وأفكارنا الطبيعية ونرتفع فوقها كما يقول الأب صفرونيوس.

التي تجمع السيد، أي الخوف بالخادمة، أي العداوة.

التوسُّل الحقيقي، والتوسُّل الكاذب

١٣- **التوسُّل الحقيقي هو أنْ نكون مثل يسوع**، أمَّا التوسل الكاذب، فهو أنْ نبقىَ كما نحن، وأنْ نجعل رغباتنا وشهوات قلوبنا هي محور الصلاة وجوهرها.

١٤- **مَن يريد أنْ يظل كما هو – ولا يتحوَّل إلى المسيح وبالمسيح – يخسر كل شيء**؛ لأن الرَّب قال: «ماذا ينتفع الإنسان لو ربح العالم كله»، أي أراد أنْ يصبح كما هو – وحسب العالم، وخسر نفسه – أي رفض أن يكون تلميذاً للمسيح.

١٥- لنطلب بإصرارٍ، وبكل ما نملك من قوة **أنْ نصبح مثل يسوع في كل شيء**[٥]: في محبته للآب، في قبول إرادة الآب، في أنْ نُمسَح مثله بالرُّوح القدس ونصبح ممسوحين[٦] مثله بالرُّوح القدس الذي نأخذه في مياه الأردُن، أي المعمودية المقدسة.

١٦- لنصفح عن الأعداء؛ لأننا بذلك ننال شركة مع الذي صُلِبَ، لكي يمد يده للأعداء ويصالح الكل بدم صليبه (كو ١: ٢٠)، ولا حظوا قول الرسول «بدم صليبه» لأننا يجب أنْ «نجاهد حتى الدم» (عب ١٢: ٤) دم الصليب الذي نحمله؛ لكي يصبح لنا دمٌ واحدٌ، أي دم يسوع المسيح الذي زرع السلام والمصالحة بالموت على الصليب.

١٧- وعندما نتناول الكأس المقدسة [٧]، فلنشرب بكل تقوى وورع؛ لأن ما في الكأس هو دم ربنا يسوع المسيح الذي يتَّحد بدمائنا لكي يصبح حياةً

٥- راجع صلاة خضوع للآب قبل التناول في القداس الكيرلسي "يا الله الذي أحبنا هكذا...طهِّر إنساننا الداخلي كطُهر ابنك الوحيد".

٦- في كل كتابات الآباء اسم "مسيحي" مأخوذ من المسحة حسب اللغة اليونانية والقبطية، وهو بسبب مسحة الرُّوح القدس في سر المسحة المقدسة، أي مسحة الميرون التي تُعطى لنا بعد المعمودية.

٧- كأس سر الشكر.

واحدةً في المسيح ومِن المسيح، وهو ما يجعل صلاتنا هي شكرٌ بالصليب بدم المصالحة والسلام الذي نناله في كل قداس. وكلما نُصلِّي لنضع دم المصلوب أمام عيوننا، ذلك الذي به اغتسلنا من العداوة ونجاسات الخطية، ونرشم الصليب ونصافح أُخوتنا [٨]، ونسأل من ذلك الذي مد يديه للجميع، أنْ يعطي لنا سلام ومصالحة صليبه، لكي نغلق باب العداوة، وننال بقوة الصليب ترياق الحياة الجديدة ضد سُّم الخوف القاتل.

١٨- التوسل الكاذب هو رياءٌ ظاهر؛ لأننا نطلب مجد أنفسنا مثل الفريسي الذي لم يُصلِّي بالمرة لله، وإنما كما قال الرَّبُ «وقف يُصلِّي في نفسه» (لوقا ١٨: ١١)؛ لأنه لم يكن يتكلم مع الله دائماً، وإنما كان يخاطب ذاته، أمَّا العشَّار، فقد كان يشعر بحضور الله، وبخطاياه، ولذلك كما يقول الرَّب «وقف من بعيد لا يشاء أنْ يرفع عينيه نحو السماء، بل قرع صدره قائلاً اللهم ارحمني أنا الخاطئ» (لوقا ١٨: ١٣) **وهكذا كل مَن يُصلِّي في نفسه، يجد احتياجات قلبه وفكره ومشاعره أهم وأعظم بكثير من وصية الله. وهكذا نجد حياتنا فيما نملك، وتصبح شهواتنا هي غاية الوجود نفسه، عند ذلك تتحول توسلاتنا إلى هذه الغاية. ويدخل الرياءُ بقوةٍ إلى حياتنا؛ لأننا متى جعلنا أنفسنا هي الغاية، تحوَّلت حياتنا إلى البقاء في الذات، ومَن يبقى في ذاته بدون الشَركة مع الله، يموت إلى الأبد.**

١٩- أمَّا التوسل الحقيقي، والالتصاق القلبي بالصليب، فهو مثل إتحاد اللاهوت بالناسوت في أُقنوم ربنا يسوع المسيح، أي «بدون اختلاط ولا امتزاج ولا تغيير». إذ تطفو إرادتنا غير المختلطة بإرادة الله، وحياتنا غير الممتزجة بحياة ربنا يسوع المسيح، وغايتنا التي لا تتغير، أي الاتحاد الحقيقي، بلا رياء بيسوع المسيح. وهكذا في الصلاة تظهر حياتنا المختلفة عن حياة ربنا يسوع المسيح لكي تتحد به بالصليب، وتصبح إرادة واحدة، أي مثال «**الطبيعة الواحدة المتجسدة لله الكلمة**» [٩]. وعندما نقول «بدون اختلاط» فإننا نقصد أنَّ

٨- المقصود هو قبلة السلام الرسولية بعد صلاة الصلح.

٩- هذه هي عبارة القديس كيرلس عمود الدين، وهي أحدى العبارات الأساسية الخاصة بالأسرار الكنسية والنعمة وطبيعة

صلواتنا تُظهِر لنا تمايُز إرادتنا عن إرادة الله؛ لكي يجمع الصليب هذه الإرادة، وعندما نقول «بغير امتزاج» فنحن نقصد من ذلك إنَّ حياتنا نحن لا تمتزج بحياة الرَّب، بل تتمايز عنه حتى تصبح واحداً معه بالغاية الواحدة التي لا تتغير، أي الصلب والموت مع المسيح.

٢٠- وعندما نموت مع المسيح، فإن موتنا مع المسيح وبالمسيح يتم، ليس كموت غير المؤمنين بالمسيح الذين لم يتَّحدوا بالصليب والمصلوب. وهكذا غَيَّر الرَّب طبيعة ودور الموت[١٠].

الموت كظاهرةٍ طبيعيةٍ	الموت مع المسيح وبالمسيح
الموتُ كظاهرة طبيعية، هو نهايةٌ للحياة الجسدانية.	الموت مع المسيح هو بالمسيح، فهو ليس ظاهرةٌ طبيعيةٌ تنتهي فيها الحياة، بل هو بداية حياة جديدة أعظم من الحياة الجسدانية. ومع أنَّ الجسد ينحل ويضعف، إلاَّ أن الروح تقوى وتزيد فيها الأشواق للحياة السمائية.
الموت هو الأُجرة التي دفعتها الخطية (رو ٦: ٢٣).	الموت مع المسيح وبالمسيح هو عطية الله في المعمودية، نحسب أنفسنا ''أمواتاً عن الخطية'' ولكن ''أحياء لله بالمسيح يسوع ربنا'' (رو ٦: ٢).
الموت والخطية هما وحدة واحدة، يقود أيهما للآخر.	الموت انفصل عن الخطية بالصليب وأخذه الرَّب في الصليب وأعطاه هبة لكي يقتل الخطية، إذ يقول الرسول بولس ''لا تملُكن الخطية في جسدكم المائت الذي صُلِبَ مع المسيح، لكي يبطل جسد الخطية''، أي المجال الذي تعمل فيه الخطية للموت (رو ٦: ٦ وأيضاً رو ٦: ١٢).

الكنيسة جسد المسيح، وهي التي تضبط لنا صلتنا بالمسيح لأنها تعلن الاتحاد الكامل لأُقنوم الكلمة الابن المتجسد مؤكدة لنا عدم وجود اختلاط، وعدم وجود امتزاج، وعدم وجود تغيير في الناسوت، ومع ذلك يصبح الناسوت هو ناسوت الابن المتجسد، وواحداً معه حسب نص صلاة الاعتراف في قداسنا القبطي الأرثوذكسي.

١٠- لم يقدم الأب صفرونيوس هذه المقارنة في جدولٍ، ولكن من أجل الفائدة وضعت المبادئ معاً للمقارنة وللوضوح.

التصق الموت بالخطية، وصار الموت هو الذي يحرِّك الإنسان للسقوط في الخطايا، إذ خدع الإنسان، وظن أنه بالخطية يستطيع أنْ يحيا ويدافع عن نفسه بمزيد مِن الخطايا.	انفصل الموت عن الخطية بالصليب وصار الموت بالصليب قوة بذلٍ؛ لأننا بالموت نُقدِّم حياتنا ''كأحياء مِن الأموات، وأعضائنا آلات برٍ لله'' (رو ٦: ١٣) وبذلك فقدت الخطية علاقتها بالموت بسبب سيادة نعمة مغفرة الخطايا (رو ٦: ١٤). وتحوَّل الخوف من الموت إلى بذلٍ للحياة. وعلَّمنا ربنا يسوع إنَّ مقاومة ذلك الخوف القديم، أي الخوف من الموت، هو بقبول الموت ليس كظاهرةٍ طبيعيةٍ، بل كنعمة الله في يسوع المسيح؛ لأن الرسول يقول ''مع المسيح صُلبت، فأحيا لا أنا، بل المسيح يحيا فيَّ، فما أحياه الآن في الجسد، فإنما أحياه في الإيمان، إيمان ابن الله الذي أحبني وأسلم نفسه لأجلي، لست أبطل نعمة الله. لأنه لو كان بالناموس بر فالمسيحُ إذاً مات، بلا سبب'' (غلا ٢: ٢٠-٢١) وقد صار الصليب نعمة الله؛ لأنه أبطل حكم الشَريعة الذي يحكم بموت الخطاة. وأعلن بر الله بدون وساطة وعمل الناموس حسب قول الرسول ''الآن فقد ظهر بر الله بدون الناموس مشهوداً له من الناموس والأنبياء، بر الله بالإيمان بيسوع المسيح'' (رو ٣: ٢١-٢٢).

كانت الخطية هي سبب الموت، وصار الخوف من الموت هو سبب وينبوع الخطايا.	صار الموت هو سبب الخطية؛ لأن الرَّب مات دون أن يكون خاطئاً، ودون أن تلوثه الخطية. حقاً حمل الرَّب خطايانا في جسده، **أي الطبيعة القابلة للخطية، أي الطبيعة البشَّرية،** وصار ذبيحة خطية (٢ كو ٥: ٢١)، ولما مات على الصليب ''أرسل الله ابنه في شبه جسد الخطية، (أي الطبيعة الإنسانية الآدمية التي، بلا خطية)، ولأجل الخطية دان الخطية في الجسد'' (رو ٨: ٣). فكيف دان (*) الرَّبُ الخطية في الجسد؟ حكم على عجزها عن أنْ تميت وتقتل الخاطئ؛ لأن الرَّب ألغى وساطة الناموس، ولأنه أعلن قيامة الجسد حسب كلمات الرسول ''لما كنا في الجسد كانت أهواء الخطايا التي بالناموس'' أي تلك الممنوعات التي يقول عنها الرسول ''تعمل في أعضائنا لكي نثمر للموت'' (رو ٧: ٥). ولكن لما جاء ابن الله، ومات على الصليب ''تحررنا من الناموس'' أي من حكم الموت، إذ ماتت وساطة الناموس بموت الرَّب، كما يقول الرسول ''مات الذي كنا ممسكين فيه حتى نعبده بجدة الروح لا بعتق الحرف'' (رو ٧: ٥-٦). وهكذا جاء روح الحياة، أي الروح الذي أعطى القيامة في المسيح، وهو الذي يقول عنه الرسول بولس ''إن كان أحد ليس له روح المسيح، فهذا ليس له ''المسيح''، بل له الموت، وهو يعني كما قال قبل هذه الكلمات إنَّ روح ربنا يسوع المسيح المصلوب هو الذي يميت الجسد ''فالجسد ميت'' بسبب حكم الناموس بالموت، أي موت الخطاة، ولكن الروح يُعطِّي الحياة بسبب ''برِّ المسيح'' (رو ٨: ١٠). أمَّا الآن فقد صار لنا بالصليب قوة الحياة، بالموت مع يسوع، وبقوة روح حياة يسوع الحي الذي داس الموت بالصليب، وأباد سلطانه إلى الأبد بالقيامة.

*- حسب الترجمة القبطية للعهد الجديد، ''حكم الرَّب على الخطية في الجسد'' وهكذا يظهر النص عند آباء الإسكندرية، ولكن لأجل تعوُّد القارئ على الترجمة العربية البيروتية تركنا النص العربي المعروف وهو لا يختلف جذرياً عن الترجمة القبطية.

٢١- نحن بالصلاة نموت مع المسيح؛ لكي تنبعث فينا قوة المعمودية المُقدسة التي فيها اتحدنا بشبه موته (رو ٦: ٥) لكي ننادي الآب السماوي في يسوع المسيح وحده «أبَّا أيها الآب» (غلا ٤: ٤). ولذلك حرصت الكنيسة على أنْ نرشم علامة الصليب لكي نتأكد مِن أننا بالصلاة ندخل الشَركة السرية التي أخذناها في يسوع المسيح ربنا.

الطِّلبة الحقيقية

٢٢- إنَّ التوسُّل أو الطلبة هو أنْ نكون مثل المسيح في محبته للآب وطاعة محبته للحق، وخدمته، بل وتقديم ذواتنا ذبيحةً حيةً روحانيةً، وصفها الرسول بولس بأنها «العبادة العقلية»، وهي تقديم «أجسادنا ذبيحة حية مقدسة مقبولة عند الله» (راجع رو ١٢: ١) مؤكِّداً بعد ذلك «تغيروا عن شكلكم بتجديد أذهانكم لتختبروا ما هي إرادة الله الصالحة المرضية الكاملة» (رو ١٢: ٢). وهكذا عندما نطلب شيئاً، فإننا نطلب أنْ نسير في طريق الصليب «**الضيِّق**»، وأنْ ندخل مِن هذا «**الباب**» المؤدِّي إلى الحياة.

٢٣- وبالصليب تتطهر صلواتنا مِن طلباتٍ، بلا فائدة، وبلا قيمة، وتؤدِّي إلى غموض الحياة الروحية.

لنلبس الصليب كفكرٍ وممارسةٍ، لكي نعرف كيف نُصلِّي صلاةً حسنةً، ولنجعل الصليبَ ذبحٌ للنية الداخلية التي تفصلنا عن محبة المسيح لكي يكون لنا هذه الحرية الكاملة التي عاشها رسول الرَّب وشاهده مؤكِّداً أنها الحرية الحقيقية التي نذوق فيها عجز كل ما في الخليقة المرئية وغير المرئية عن أنْ يفصلنا عن محبة الله في يسوع المسيح (رو ٨: ٣٥ - ٣٩).

٢٤- لنطلب بجسارةٍ ما هو لائقٌ وحسب الروح؛ لأن الطلبة حسب الجسد هي ارتباكٌ بالأُمور الجسدانية التي لا تُشرق بالصليب، بل عادةً ما تخفي مجد المصلوب. وهذه هي الأُمور الجسدانية التي قال عنها الرسول إنها صادرةٌ عن الفهم الجسداني (كو٢: ١٨)، ذلك الفهم الذي يخفي في داخله محبة العالم،

وترتيب الحياة حسب مقاييس ومبادئ البشر، والتي نجد فيها عظمة القوة، ومحبة المنظورات، والخوف من أي شيء يصيب الجسد، وهو ما يجعلنا لا نفهم كيف نُدرِّب أجسادنا لتكون «**ذبيحةً حيةً**» بالصلاة. فالحرصُ على الحياةِ قال عنه الرَّب يؤدِّي إلى الموت؛ لأن ذلك الحرص يحركه الخوف، أمَّا الحرص على الحياة التي وهبها الآب السماوي لنا في يسوع المسيح، فهو نابعٌ من محبتنا لله، وتُحرِّكه وتقوده المحبة نحو الصليب.

الشكر الحقيقي، والشكر الكاذب

٢٥- يقول الرسول "وكل ما عملتم بقولٍ أو فعلٍ، فاعملوا الكل باسم الرَّب يسوع شاكرين الله والآب به" (كو ٣: ١٧)، ويقول أيضاً «شاكرين كل حين على كل شيء في اسم ربنا يسوع المسيح لله والآب» (أف ٥: ٢٠). هذه هي «**ذبيحة التسبيح**»، أي الشكر والتسبيح الذي تقدمه شفاهنا عندما تعترف باسمه (عب ١٣: ١٥).

والشكر الحقيقي هو شكرٌ في يسوع، وباسمه على كل ما يحدث لنا ويصل إلينا. هو شكرٌ على الصليب وبه، وعلى مجد القيامة، على الآم الجسد والروح، وعلى سيرنا في موكب نصرته (٢كو ٢: ١٤). هذا الشكر الحقيقي هو الذي يجعلنا نرى الأشياء بعين لا يعرفها العالم؛ لأننا نشكر على ما يحدث لنا من مصائب، وعلى الضيق الذي نرى فيه التصاقاً أكبر بالصليب. أمَّا الشكر الكاذب فهو من شفاهٍ تنطق بما لا يقصد القلب، وتقول ما لا تقبل، لذلك يقول الرسول «باسم يسوع المسيح» شاكرين الله الآب به؛ لأننا لا نقدر أنْ نشكر باسم ربنا يسوع المسيح إلاَّ إذا كان لنا التصاقٌ واتحادٌ به.

ضبطُ الفكر

١- نحن لا نملك ضبط الفكر إلاَّ بنقاء المُخيِّلة من الصور والرموز والأشكال التي قبلناها نحن بإرادتنا، أو التي خلقناها نحن مِن خلال خبرتنا وحياتنا، هذه مثل الطيور التي تعيش في أعشاشها، وتطير متى يحلو لها.

٢- وتمدنا المُخيِّلة والذاكرة بالصور والأفكار كلما حدث شيءٌ، أو سمعنا أو لَمسنَا، أو تذوقنا، وبكلمةٍ واحدةٍ، كلما أتت إلينا خبرةٌ مِن الحواس الخمس، إذ سرعان ما نتذكر ما حدث لنا في الماضي البعيد، أو القريب أو الحاضر، وبذلك يتشتت الفكر ويتشعب، ويتحوَّل مِن فكرةٍ إلى أُخرى.

٣- ولكي نُنقي مُخيلتنا، علينا أنْ نحوِّل كل ما فيها إلى صلواتنا، وأنْ ندخُل الصلاة مثل مُصارعٍ قوي يمسك بذراعي وقدمي خصمه ويحمله. وهكذا علينا أن نجعل من كُل الصور والأفكار الآتية من المُخيلةِ، أو الذاكرةِ جزءاً من صلواتنا.

٤- لنشكر على كل ما نتذكَّر، ولنتُبْ عن الأُمور السالفة التي لا تزال في ذاكرتنا. **والتوبة، وإنْ كانت تبدأ برفض الشَّر، والحزن على ما أصاب حياتنا، إلاَّ أن هذا لا يُطهِّر الذاكرة، بل يُطهِّرها إشَّراقُ المحبة الإلهية بنور الرُّوح القدس في العقل والقلب معاً**. وعندما تُشرق فينا محبة الله، فإن الخطايا والأفكار السمجة السالفة، بل حتى الأُمور الصالحة تبدو لنا تافهةً حقيرةً بالمقارنة بمجد المحبة.

٥- تُطهِّرنا محبة الله من الخطية؛ لأنها لا تقهر، فقط الميول التي تحُرِّك، وتثير الذاكرة والمخيلة، بل تخلق فينا العطش والشوق إلى الله، الذي لا يموت، ولا تقوى عليه الخطية. وحتى إذا ضعف فإنه يغلب كل الميول، ويصبح مثل

النار، تحرق الميول الأُخرى.

٦- لنحب الله لكي تُطهِّر هذه المحبة النارية، التي يعطيها الرُّوح القدس القلب، والتي إذا طلبناها، وأخذها القلب، تحوَّلت كل الميول إلى الله، وصار المَيلُ إلى التخلي، ليس عن القنية، بل حتى عن الحياة.

٧- ليكُن لنا حَذَرُ الحكماء والشيوخ؛ لأن النُسكَ، مهما كان، لا يزرع محبة الله في القلب. يحُرِر النُسكُ الفكرَ من الارتباك، ويقدِّس النُسكُ الإرادةَ، إذ يخصصها لله، ولكن هذا مثل المحراث الذي يشق الأرض، أمَّا البذرةُ، فهي عمل الرُّوح القدس، وهي تنمو بالصلاة، وبالحياة التي يسكبها الرُّوح القدس فينا.

٨- حذَّرنا الآباء الرسل بصوت رسول المسيح وشاهده القديس بولس «لا تغرب الشمس على غيظِكم» (أف ٤: ٢٦)، فأعطى الآباء هذا التعليم من أجل نقاوة وضبط الفكر؛ لأن الخصام، والمنازعات، والأحقاد، تُشتِتُ قدرةَ الإنسان على الصلاة، وتُعمِّق الصراع الفكري، وتجعل مَن يُصلِّي مثل إنسانٍ ضل الطريق، وأخذ يسأل الناس عن المكان الذي يقصده دون جدوى. هكذا كل مَن لا يحيا حسب المحبة، ومَن لا يَعيش بروح مصالحة ربنا يسوع المسيح، لا يقتني الصلاة النقية.

كيف كان يضبط الرَّب فكره كإنسان؟

٩- قال الرَّب: «اطلبوا أولاً ملكوت الله وبره» (مت ٦: ٣٣)، وبذلك حدَّد لنا الهدف الذي كان يسعى إليه، وهو ذات القصد والغاية الذي بدأ به كرازته «توبوا لأنه اقترب ملكوت السموات» (مت ٣: ٢). جاء بالملكوت مُعلِناً إنه اقترب منَّا، دون أنْ نقترب نحن منه؛ لأنه العطية السماوية الفائقة. كان يعيش لملكوت الله، وكان الملكوت في قلبه، ولذلك قال: «أنا والآب واحد» (يوحنا ١٠: ٣٠)، وقال أيضاً: «الآب الحال فيَّ هو يعمل الأعمال» (يو ١٤: ١٠) وهكذا كان يضبط فكره بالهدف الواحد الذي قال عنه لمرثا «ولكن الحاجة إلى واحد» (لو ١٠ :

٢١) وإذا تعددت الأهداف، فَقَدَ الإنسان قدرته على ضبط فكره، لا سيما إذا كانت هذه الأهداف غير متفقة وغير متصلة، بل متفرقة ومضادة، لا تجمعها وحدة، بل ترتبها الأهواء والخطايا والفضائل والاهتمامات والمخاوف.

١٠- مَن يخاف النارَ لا يقترب منها، ولكنه لا يخاف من الاستخدام المحدود والمعروف مثل طهي الطعام، أو غلي الماء، أو طَرْقُ الحديد بعد تسخينه، ومع ذلك يبقى الحذر والخوف هو أحد القوى التي تُحرِّك الإرادة والفكر عندما يقترب ذلك الإنسان من النار. هكذا صراعُ الفضائل والرذائل، يجعل خوفَ الإنسان وحذره، وقدرته على الابتعاد عن الشَّر محدودةً بما يملكه الإنسان من حذر، وشهوة، خوف ورجاء.

١١- لا يتناقض الشَّر فقط مع الخير، بل مع نفسه ومع كل مكوناته. وعلى سبيل المثال لا يتفق شَرُ القتل مع شَر الزنى؛ لأن مَن يريد أنْ يزني، لا يقتل ضحيته، ولكن ما أكثر الذين بسبب الزنى قتلوا ضحاياهم. ويتناقض الكذب مع القَسَم باسم الله؛ لأن الكذاب يحطم شعوره بقداسة الله، وعندما يحلف باسم الله، فهو يخطئ لكي يسند خطية الكذب. ولا يمكن مصالحة الكبرياء مع الحقد والبُغضة؛ لأن كلاً منهم تُغذِّي الأُخرى، ومع ذلك، تمنع الكبرياءُ الإنسان المتكبر من التنازل عن أحقاده، وتجعل الأحقاد الكبرياء تشتعل مثل أتونِ نارٍ، وكثيراً ما يفقد الإنسان قدرته على السيطرة على كبريائه بسبب الأحقادِ، بل ويدفع الخوف على فقدان الكرامة والصيت، الإنسان إلى مزيدٍ من الخطايا.

١٢- ويحرِّكُ الخوف القديم، ذلك الداء الخفي، كل الرذائل في اتجاهٍ واحدٍ، وهو الحفاظ على الذات، والذي بسببه نفقد قدرتنا على إجراء توازن بين الرذائل نفسها. نحن نخاف من أن نفقد أي شيء، ومع ذلك تلزمنا الحياة بالتضحية ببعض ما نملك، أو نريد. وميزان الامتلاك والتضحية، هو في يد ذلك الخوف القديم، حتى نتحرر من سطوته بالصليب.

وهكذا لو نظرنا إلى حياة الابن المتجسد الذي بمحبته قَدَّم ذاته عنا دون

ضعفٍ، بل قال: «لي سلطان أن أضعها وسلطان أن آخذها، هذه الوصية قبلتها من أبي» (يوحنا ١٠: ١٨). فقد صُلِبَ بسرورِ مَن وضع الآبُ أمام عينيه، ولذلك يقول الرسول: «ناظرين إلى رئيس الإيمان ومكمله يسوع الذي من أجل السرور الموضوع أمامه، احتمل الصليب مستهيناً بالخزي، فجلس في يمين عرش الله» (عب ١٢: ٢). و لم يكن الرَّب مثلنا متردداً خائر العزمِ لا يعرف ماذا يفعل، بل كان في اتحادٍ تام بين لاهوته وناسوته، اتحاد الطبيعة الإلهية بالطبيعة الإنسانية، واتحاد المحبة الكامل الذي لا يمكن أن تفصله الخطية. وإذا كان الرسول بعد أن ذاق محبة الله يقول في دهشةٍ، ويسأل: مَن سيفصلنا عن محبة المسيح؟ وبعد ذلك يؤكد أن كل ما هو في السماء وعلى الأرض لا يمكنه أن يفصل الرسول، بل المؤمنين عن «محبة الله التي في المسيح يسوع ربنا» (رو ٨: ٣٩).

١٣- وعندما توحِّدنا المحبةُ بالله، تجمع المحبةُ الفضائل؛ لأن الفضائل لا تتعارض ولا تخلق الصراع الداخلي. أمَّا إذا تصارعت الفضائل، فإن الصراعَ ليس بسبب التعارُض بين الفضائل، بل بسبب «انعدام الخبرة، وقِلة التمييز»، بينما صراع الرذائل مصدره الحقيقي هو طبيعة الشَّر غير العاقلة [١١] وقدرة الخوف، الداء القديم على أنْ يحرِّك فينا الشرور والخيالات، والذكريات القديمة، التي لا جدوى منها ولا فائدة، والتي فَصَلَ الحاضر والزمان بيننا وبينها، ولكن هكذا تُحرِّك «لا معقولية» الشَّر، قدرة الإنسان العقلية لكي يقوم بأعمالٍ غير عاقلةٍ، أي شريرة.

١١- إذا كان الشَّر مضاد للخير، أو - حسب العبارات الشائعة عند الآباء مثل اوغسطينوس - هو ''غياب الشَّر''، فالخير يصدر عن الإدراك والتمييز، بينما يصدر الشَّر عن الجهل وعدم التمييز وهو ما يجعل طبيعة الشَّر غير عاقلة.

-٦-

طهارة الجسد، ونقاء المخيلة

١- يتقدَّس الجسدُ بقوة الرُّوح القدس، ومِسحة الميرون، وبالشَركة المقدسة في السِّر الإلهي الفائق أي ''جسد المسيح ودمه'' الذي يجعلنا أنقياء [١٢] بالجسد والروح. وعندما نصبح مع المسيح جسداً واحداً، فإن طبيعة الجسد تتقدَّس، وتصبح مؤهَّلةً للقيامة من الأموات في المسيح.

٢- تظل طبيعة الجسد مقدسةً؛ لأن عطية الله كما يقول الرسول بولس «بلا ندامة» (رو ١١: ٢٩)، فهو لا يندم على ما يعطيه لنا. ولكن الذي يتدخل ويجعلنا نفقد الشعور، بل والإيمان بقداسة الجسد هو سقوطنا في الخطايا المتنوعة، واستخدام الجسد بشكل يتفق مع الأهواء، وهو ما يؤدي إلى اختزان أفكار وصور متنوعة عن الجسد، نجدها في المُخيِّلةِ، وفي الذاكرة.

٣- يقوم النُسكُ بتطهير الجسد، أي أعضاء الجسد، وذلك بخدمة الأُخوة، والعمل اليدوي، ورفع اليدين، والسجود بخوفٍ ومحبةٍ للثالوث القدوس، كل هذه الأعمال مع طقوس الكنيسة، ترسم صورةً مغايرةً لصورة جسد الخطية في مخيلة الإنسان.

٤- ويُطهِّر الصومُ الجسدَ؛ لأنه يغرس في النية الداخلية الشعور بضعف الجسد وعجزه، وهو ما يجعل الاندفاع نحو الشَّر أقل بكثير عند الذين يصومون؛ لأن الشعور بالضعف والعجز يجعل صورة الجسد في العقل، ليس صورة المارد الجبار، بل صورة الضعيف والمحدود القوة.

٥- تُطهِّر كلمات المزامير الخاصة بأعضاء الجسد، لا سيما اليدين والعينين، والقدمين، واللسان والشفاه هذه الأعضاء؛ لأنها تجعل الصلاة هي وسيلة

١٢- راجع صلاة القداس الكيرلسي التي تقول ''لكي نصير أطهاراً كطهر ابنك الوحيد''.

تقديم هذه الأعضاء لله، مما يجعل صورتها وحركتها القابعة في المُخيِّلةِ والذاكرة تتغير بالممارسة وبالثبات في الصلاة.

٦- علينا أنْ نُصلِّي شاكرين الله على كل عضوٍ من أعضاء أجسادنا، لكي ندرك أنه عطية من الله، وإنه يحتاج إلى تقديسٍ بخدمة اسم ربنا يسوع، أي خدمة احتياجات جسد المسيح، الكنيسة المقدسة الجامعة الرسولية.

تجلِّي الجسد بنعمة الرُّوح القدس

٧- تُطهِّر أعمالُ المحبة الجسدَ؛ لأن خدمة الأُخوة ومصافحة السلام، ورفع اليدين تطهر المُخيِّلة من صورة الجسد، أي تلك الصورة التي تتكون في عقل الإنسان عن طبيعة جسده وحركاته. وهكذا عندما نصوم ونشعر بضعف الجسد – ويستقر هذا في النية الداخلية – نتعلم الرأفة والشفقة تجاه الضعفاء، وهو ما يستقر في المُخيِّلة كصورةٍ تُلهم الفكر، وتُحرِّك الشعور نحو ما هو صالح.

٨- أمَّا الصورة التي تتجلى بنور الرُّوح القدس وبنعمته، فهي صورة المسيح الذي يتجلَّى بمِسحة الرُّوح القدس، وبالصليب، وبالقيامة، وبمجد الآب الأزلي.

وقد تجلَّى المسيح الرَّب على هذا النحو: أخذ ناسوته من العذراء القديسة مريم، ومن الرُّوح القدس، فجمع معاً ما هو مخلوقٌ وآدميٌ، وما هو إلهيٌ وخالقٌ: أي الناسوت، وروح الحياة، الرَّب المُحيي الرُّوح القدس، وبذلك أغلق هاوية الموت؛ **لأننا قبل أن يتجسد ابن الله كُنَّا تحت رباط الوجود الآتي من العدم، أمَّا بعد تجسده، فقد صار لنا كيان وطبيعة جديدة نأخذها من الرُّوح القدس في يسوع المسيح ربنا**. هذه الطبيعة الجديدة ليست من العدم، بل من المسيح، أي الخليقة الجديدة الثانية. تتجلَّى هذه الطبيعة الثابتة في المسيح، والذي طَلَبَ مِنَّا أن «نثبُت فيه» مثل ثبات الأغصان بالكرمة (يو ١٥: ٤)، أي أن نقبل بالإيمان أن ننتقل من العدم إلى الوجود، لنكون على مثال أُقنومه الإلهي المتجسد، أو بالحري على مثال ناسوته المتأقنم بالإتحاد

مع أُقنوم ابن الله الكلمة [١٣]. ونحن لا نتأقنم كما تأقنم ناسوت الرَّب، أي بالإتحاد به، بل نتأقنم على مثال ذاك. فهو بالإتحاد بأُقنوم الابن له حياة إنسانية متمايزة عن أُقنوم الكلمة، ولكنها واحدةٌ معه. أمَّا نحن فلنا تمايُز وحياة مستقلة عن لاهوت الرَّب، وعن ناسوته أيضاً، ولكنه التمايز الذي يقود إلى الإتحاد، وليس التمايز الذي يقود إلى الانفصال.

وهكذا حسب نعمة الله نحن نُصلِّي، وبالصلاة تعود إرادتنا وطبيعتنا «المُنعَم» عليها إلى الابن الكلمة، الذي نقترب منه، ونتغيَّر مِن «صورة الترابي» إلى «صورة السمائي» حسب نمو إيماننا وحسب قبولنا لنعمة المسيح الغنية.

٩- والمجد الذي سطع على جبل تابور عندما تجلَّى الرَّبُ، هو مجدُ آدم الجديد، وهو كامنٌ فينا؛ لأن الرَّب يقول: «ليكون فيهم الحب الذي أحببتني به» (يو ١٧: ٢٦)، وأيضاً: «مجِّدني أنت أيها الآب عند ذاتك بالمجد الذي كان لي عندك قبل كون العالم» (يو ١٧: ٥)، وهو مجد اللاهوت الذي تخلَّى عنه عندما تجسَّد، وهو ذات المجد الذي تجلَّى في حياة الآباء الذين سطع نور المسيح علانيةً من أجسادهم أثناء الصلاة، أو خدمة الليتورجية؛ لأننا جميعاً ننال هذا المجد في «سر النور الإلهي» أي المعمودية المقدسة، ولكنه لا يظهر أمام عيوننا إلاَّ في مناسباتٍ ولحظاتٍ خاطفة؛ لأن موعد ظهوره هو يوم الدينونة، عندما نقف مثل الحمِلان على يمين الرَّب، أي تصبح لنا ذات طبيعة «الحَمَل ابن الله».

١٣- كانت مشكلة نسطور هي اعتقاده بأن الناسوت له أُقنومٌ خاصٌ به، وبالتالي يصبح في المسيح أُقنومين، إلهي وإنساني. وكان رد الآباء، لا سيما القديس كيرلس السكندري بأن الناسوت هو ناسوت كامل، ليس له وجود خاص مستقل ومنفصل عن أُقنوم الابن؛ لأنه منذ البداية تأقنم بالإتحاد بأُقنوم الابن، "وصار واحداً مع لاهوته بغير اختلاط ولا امتزاج ولا تغيير". هذا الوجود المتأقنم هو مثال وجودنا نحن بعد الإيمان وبعد نوال سر المعمودية الذي به ننتقل كياناً وحياة ووجوداً من العدم إلى الوجود الحقيقي في المسيح، ذلك الوجود الذي يتحول فيه الموت إلى "خادم للخلاص". وتعبير القديس كيرلس الإسكندري enhypostsia، أي وجود إنسانية المسيح مُتأقنمة بسبب الاتحاد بأُقنوم الكلمة، هو تعبير ضروري لفهم الخلاص؛ لأن تأقنم الناسوت، يجعل من كل إنسان مدعواً لأن يكون "الأخ" "للبكر" يسوع المسيح "البكر بين أُخوةٍ كثيرين"، وأُخوَّةُ الرب لنا هي أن نكون مثله، أيّ نتأقنم حسب النعمة، بما تأقنم به ناسوت الرب حسب الطبيعة. وهو فرقٌ خطيرٌ، وكبير جداً بين ما يُعطى كهبةٍ، وما هو كائنٌ بالطبيعة. وحتى لا يتعب القارئ في التخمين، نقول في عبارةٍ واحدة: إنَّ ما هو كائنٌ بالطبيعة له الوجود الثابت، غير المتغيِّر، وانسكاب الحياة الدائم، والوحدة الطبيعية التي لا انقسام، ولا انفصال فيها. أمَّا ما يُعطى كنعمة، فهو علاقة تتحول فيها الطبيعة البشرية بالتدريج، وحسب الاستيعاب، وحسب الممارسة، وحسب الرؤية، ولا تصل الطبيعة المخلوقة بقدراتها إلى ما هو غير مخلوق، فالمسيح يستطيع أن يعطي حياةً للموتى، أمَّا الذين تقدسوا، فهم لا يملكون هذا إلاَّ بقدرة وإرادة المسيح.

١٠- لنتعب في عمل الصلاح والخير حتى نكتشف مجد المسيح فينا:

أولاً: بالثبات في محبة الله، وليس فقط في المحبة غير «المُعَرَّفَة» أي تلك العارية عن محبة الله؛ لأنها توجد في الخطاة وفي الأشرار، وفي الزناة، ولكن محبة المسيح، أي تلك التي تَلْبَس الصليب؛ لكي تطرد بقوة الصليب البقاء في استقلالٍ عن الابن فادينا وربنا يسوع المسيح.

وثانياً: بالصلاة الدائمة لا لكي ننال، بل لكي نتعرَّف ونكتشف؛ لأننا منذ لحظة خروجنا من مياه الأردن (المعمودية) ننال كل شيء، ولكنه يظل خفياً عن عيوننا حتى نمارسه، ومحجوباً حتى نعيش فيه، أي شَركة موت الرَّب وقيامته، وهي شَركة الحياة الجديدة.

المعمودية والصلاة

١١- لا يغيب نور المسيح عن الذين نالوا سر المعمودية، ولكن إذا انغمسوا في الشَّر تعذَّر عليهم أن يتعرفوا عليه. هذا النور هو الإدراك العقلي الباطني للخير ومحبته وطلبه والتمسك به، والثبات عليه، وهو الذي يُحرِّك القلبَ نحو المحبة، والشوق إلى الله، والالتصاق الدائم باسم يسوع المسيح في الصلاة، ومحبة ذلك الاسم التي تغلب كل شيء؛ لأنه أحب الأسماء إلى الآب السماوي، ولأنه الاسم الذي نطق به الآب والرُّوح القدس، وهو لذلك الاسم «المحبوب» الذي نقدِّم به الصلوات للآب في قوة وقيادة الرُّوح القدس.

١٢- وعندما نعتمد باسم الثَّالوث القدوس، فإننا ننال شَركةً روحيةً مع الثَّالوث، تجعلنا نحب الصلاة ونسعى لها ونشتاق إلى الوجود في الثَّالوث؛ لأن المسيح يسوع الذي فينا هو الذي يُحرِّكنا نحو الآب، والروح الذي فينا هو الذي يحرِّكنا نحو المسيح، وشوق الآب لنا هو ذلك الشوق الذي يقول عنه ربنا يسوع المسيح «إليه نأتي وعنده نصنع مترلاً» (يو ١٤: ٢٣).

١٣- وكما نشتاق نحن إلى الثَّالوث - ويحرِّكنا إلى الثَّالوث نور سر المعمودية

– يشتاق إلينا الله، ويحرِّكنا نور الثَّالوث الذي أخذناه في هذا السر الإلهي الفائق؛ لأن الروح يُحرِّك قلوبنا، ويجعلنا نُصلِّي «أبَّا أيها الآب» عندما يُرسل روحه صارخاً فينا ذات نطق الابن الوحيد المتجسد (مرقس ١٤: ٣٦).

١٤– وبسبب نور المسيح الذي فينا يتجلى الجسد بنور المعمودية على هذا النحو:

أولاً: بالسجود في شوق للثالوث، إذ تتحرك أعضاء الجسد في نشاطٍ وفرح نابعٍ من القلب، ويشتعل في كل أعضاء الجسد «ختم الميرون المقدس» [١٤] الذي وُضِع على كل عضو، وتفوح منه رائحة عطر المسيح.

ثانياً: بالوقوف في الصلاة، أي بالقيامة [١٥]؛ لأننا «نقف حسناً» [١٦]، أي نقف بصلاح الحي القائم من الأموات، ولا نقف مثل الأُمم أو اليهود، بل مثل القوات السمائية «الوقوف» في حضرة الثَّالوث القدوس، ومعهم نسبح بالتقديس المثلَّث.

ثالثاً: برفع اليدين وهو علامة التسليم الكامل الذي قال عنه الرسول «من أجلك نُمات طول النهار قد حُسبنا مثل غنم للذبح» (رو٨: ٣٦). وهو رفع اليدين الذي بدأناه في طقس الانضمام إلى الكنيسة الجامعة، أي طقس المعمودية.

وعندما نرفع أيدينا إلى فوق، فإننا نعلن أننا نقدم ذواتنا، وإرادتنا للصلب رافضين كل شيء – حتى الصالحات – لنكون ذبائح روحية لله. وهكذا يسطع فينا نور المعمودية ويشرق بقوة اللاهوت، أي لاهوت الابن الكلمة، ويجعل الالتصاق بالرَّب هو التصاق المحبة التي لا تموت مطلقاً، حتى وإن أصابها الضعف وسكبنا على نارها مياه الإثم الباردة التي حذَّرنا منها الرسول بولس بقوله: «لا تطفئوا الروح» (١تي ٥ : ١٩).

١٥– وعندما نقول في الصلاة الرَّبانية:»كما نغفر..»، فإن قوة المعمودية هي

١٤– رشومات الميرون ال ٣٦ رشماً حسب طقس كنيستنا.

١٥– القيام هو الوقوف، وفي القبطي واليوناني هو تعبير الجسد عن القيامة مع المسيح.

١٦– راجع القداس الإلهي في نداء الشماس ''قبِّلوا بعضكم بعضاً.....».

التي تحركنا لكي نغفر، لكي نضيء بشكل المسيح المحيي، عندما نمد أيدينا بالسلام والمصافحة، إذ نكمِّل بذلك عمل النعمة التي فينا، والتي إذا تحرَّكت إرادتنا نحو السلام، وحياة الشَركة، نكمِّل بالصلاة، وبالمحبة إشراق نور المسيح الذي فينا.

صلاة الممسوحين بالرُّوح القدس

١٦- يقول الرسول يوحنا «أنتم لكم مِسحة من القدوس» أي من المسيح، «وتعلمون كل شيء». تعرفون ما هي حدود صلاة الممسوحين بالرُّوح القدس (١ يوحنا ٢: ٢٠). ويقول بعدها وأنتم، فالمسحة التي أخذتموها من المسيح ثابتة فيكم ولا حاجة لكم إلى أن يُعلِّمَكم أحدٌ (أركان الإيمان بالمسيح) (راجع عب ٥: ١٢)، بل كما تعلِّمكم هذه المسحة عينها عن كل شيء خاص بالمسيح، وهي حق؛ لأنها مسحة الذي قال أنا هو الحق (١ يوحنا ٢: ٢٧).

١٧- لنصلِّي حسب حدود هذه المِسحة، فهي لا تطلب اللعنة، بل البركة؛ لأنه قال «باركوا ولا تلعنوا»، وتطلب المغفرة، وتعزِّي النائحين، وتشجِّع الضعفاء، وتقوِّي الثابتين، وكل ما هو مرضي ومقبول لدى مخلصنا الله.

أمَّا عن الأُمور الخاصة بنا، فهي لا تطلب - أي قوة هذه المسحة - إلاَّ الالتصاق التام بيسوع وبالصليب الحلو الذي وصفه الرَّب نفسه بأنه «النير الحلو» [١٧] الذي يحمله الرَّب معنا، لكي نسير متوازين معه، لنحمل ذلك النير الذي يجعلنا نلزم حدود الصلاة التي يحددها الرُّوح القدس للذين مُسِحوا بقوة الرُّوح القدس.

١٧- النير الحلو حسب الترجمة القبطية، والنير عبارة عن قطعة طويلة من الخشب توضع على رقبة بقرتين أو ثورين أو أي حيوانين لجر المحراث. وهنا الذي يحمل معنا ذلك النير هو المسيح لأن الحيوان الواحد لا يحمل النير بمفرده.

-٧-

طهارةُ النيّة

١- إذا كان الرَّب قد ضبط فكره كإنسان بالبقاء في طاعة محبة الآب، وشَركة الحياة الواحدة، فإن الشرير عندما جرَّبه في البرية، وعرض عليه شرور آدم الأول، رفض الرَّب كل هذه الشرور؛ لأن نيته كانت نقية.

٢- أمَّا نحن، فإن الصلاة هي أحدى الوسائل التي بها تتطهر النية؛ لأننا عندما نُصلِّي، فإنَّ الكلمات بقوة الرُّوح القدس، تطهِّر الفكر والإرادة، وتفتح عيني القلب، وتجعل نيتنا الداخلية نقية حسب الرغبات والأهداف التي نسعى لها ونشتاق إليها.

٣- وهكذا تعمل الصلاة فينا حسب اللجاجة والثبات، إذ تفتح الطلبة عيون قلوبنا لكي نرى يسوع المسيح وإيَّاه مصلوباً (غلا ٣: ١)، ونسعى للصليب الذي يُطهِّر نيتنا الداخلية.

٤- مَن ذَبَحَ إرادته، فهو يصلِّي بنقاء، أمَّا مَن جعل إرادته فوق كل شيء، حتى الوصية المقدسة، فهو يحتاج إلى زمان طويل حتى - بالرُّوح القدس وبالصلاة الدائمة - يطلب مشيئة الله ويصبح نقياً.

محبة القريب ومحبة النفس

١- عندما قال الرَّب بفمه الإلهي: حِب الرَّب إلهك من كل قلبك وقريبك كنفسك (راجع مت ١٢: ٣٠، ٣١)، فقد حدَّد لنا أنَّ المحبة الحقيقية تظهر أمام عيوننا عندما نرى كيف نحب أنفسنا.

٢- هذه هي محبة النفس الكاملة التي لا عيب فيها، وهي أنْ نقدِّم ذواتنا قرباناً للآب، لا لكي تهلك بالتقديم، بل لكي تصبح حيةً بالرُّوح القدس.

نحن لا ننكر ذواتنا إلاَّ عندما نكتشف ذلك الداء الخفي «الموت»، الذي يجعل محبتنا لأنفسنا، بلا اعتدال، وهو ما يجعل الطريق الوسط [١٨] الذي يُخلِّص كثيرين، غامضاً مشوشاً.

٣- ومحبة النفس التي فيها كل العيوب، أي عيوب الخطية هي:

أولاً: تفضيل الذات والشهوة على كل شيء آخر حتى أقرب الأصدقاء.

ثانياً: أنْ نجعل مطالبنا في الحياة فوق كل مَطالِب.

ثالثاً: تختلط هذه المحبة بالكبرياء. ومن حركات الكبرياء نُدرِك أن محبة الذات التي تدفعنا للاحتفاظ بالأُمور التافهة، مثل كلمة نقد أو شتيمة، أو بعض الممتلكات التافهة، هي محبةُ ذاتٍ مزيفةٍ، ومحبة كاذبة؛ لأن الرَّب قال عن محبة الذات الحقيقية «أليست الحياة أفضل من الطعام، والجسد أفضل من الملابس» (راجع مت ٦: ٢٥). فإذا كانت الحياة أفضل من الأُمور التافهة بما فيها الملابس، فكيف نُعكِّر صفو حياتنا بالتافهات؟ أليس لأن الكبرياء قد زيَّفت محبتنا لأنفسنا، وجعلتنا غير أنقياء في محبة ذواتنا.

٤- أمَّا محبة الذات الحقيقية، فهي تتحرك نحو تفضيل الحياة، أي حياتنا في المسيح

١٨- هذه أحد العبارات المأثورة في الأدب النُسكي، أي طريق الاعتدال الذي لا يعرف الإفراط والتهور.

على الأُمور الأرضية، وتسعى وراء الملكوت، أي أنْ يكون المسيح هو الملك الذي يملك علينا.

٥- لا تبدأ محبة الذات الحقيقية بالتفريط في الحياة، أو بالاستهانة بعطية الوجود، ولا بتحقير الذات، وإنما تبدأ محبة الذات الحقيقية بإدراك عِظَم نعمة الله، وجمال الشَركة في لاهوته، والحظوة والمكانة التي أخذناها في المسيح يسوع، هذه تحُرِّك فينا كل الأشواق الطبيعية، وتلك التي يحُرِّكها الرُّوح القدس لكي نطرح عنا كل الأُمور الزائلة الوقتية، التي تحرمنا من الانطلاق في الصلاة. وعلى قدر تحررنا من المحبة الكاذبة تكون نقاوة صلواتنا، وثباتنا في الطلبة.

الصلاةُ، ومحبة الذات

٦- لِنُصلِّ، لا لكي نحيا حسب العالم، ونطلب الأُمور الزائلة من الملك المسيح، بل كما قال هو «أطلبوا ملكوت الله وبره» (مت ٦: ٣٣). **وعندما نطلب ملكوت الله، فإن صلواتنا تتحرر من عدم ضبط الفكر**، وتقوَى فينا الإرادة للسعي نحو الله الذي يرى رغبتنا، ويقوى فينا العزم على البقاء في حياة الشَركة.

٧- يؤلِّه الرُّوح القدس عزم الإنسان، إذ يجعله يرفض أن يُفرِّط في إيمانه، أو يترك المسيح. هذا نراه فينا بشكل جزئي عندما نُفضِّل الصلاةَ على كل شيءٍ آخر، ليس هرباً من المسئولية، أو سعياً نحو مديح الناس، بل طلباً للمسيح يسوع وحده.

٨- كلما ثبُتَ العزم على البقاء في المسيح، كانت صلواتنا هي وسيلة هذا البقاء، وهي ليست الضمان الكامل؛ لأن الضمان الكامل هو يسوع المسيح نفسه حسب كلمات الرسول بولس (عب ٧: ٢٢).

٩- عندما ندرك أنَّ يسوع هو الضمان الكامل لكل عطية صالحة، بل هو نفسه عطية الآب، فإن محبتنا للآب الذي «أرسل ابنه كفارةً لأجلنا» (راجع ١يو ٢: ٢، ٤: ١٠) تجعلنا نحب أنفسنا بالمحبة الإلهية الكاملة التي للآب والابن والرُّوح القدس، وتصبح قيمة ومكانة حياتنا ليس فيما نعمل أو نملك أو نقول، بل

بما أخذناه، أي عطية التبني في يسوع المسيح.

١٠- لِنُحب أنفسنا كعبيدٍ للمسيح حتى نتعلم الطاعة، وكأبناء للآب حتى ندرك قيمتنا، وكوعاء وهيكل للروح القدس حتى نعرف أنَّ الذي فينا يفوق كل ما في العالم كله، وهو ما يجعلنا نحب أنفسنا بشكل صحيح، وبمحبة نقية.

١١- إذا سألنا الآب أنْ يُعطي لنا شيئاً أو نعمةً، ولم نسمع صوت الآب ولم نأخذ شيئاً، فإن **محبة الذات الحقيقية** تجعلنا لا نفقد الثقة أو الإيمان؛ لأننا أعظم وأكبر لدى الله من كل عطية إلاَّ تلك العطية الواحدة التي تجعلنا أبناء الله، أي الشَركة في الطبيعة الإلهية.

أمَّا **محبة الذات الكاذبة**، فهي تجعلنا نظن أنَّ العطيةَ أعظم، وإنَّ ما لم نأخذه هو خسارة حقيقية، وهو ما يجعل الحزن ومعه صِغَرُ النفس يدخُلان إلى حياتنا، ويجعلانا نشعر بفقدان الرجاء.

ليكن لنا ثقة في محبة الله؛ لأن هذه المحبة وحدها هي التي تجعل لنا قيمة حقيقية لدى الله، وترفع عنَّا أثقال صغر النفس.

كيف نُصلّي صليب يسوع المسيح بالرُّوح القدس؟

١- بالمعمودية يغرسنا الرُّوح القدس في صليب ربنا يسوع المسيح؛ لأننا نُدفن معه، لكي نقوم معه. ويا ليتنا نتعلَّم كيف نُصلِّي الصليب، لا أنْ نرشمه فقط.

٢- وهذه هي الطريقة التي بها نُصلِّي الصليب: أنْ نجعل كلمات الرَّب على الصليب هي صلواتنا الشخصية. فقد جَعَلَت هذه الكلمات الصليبَ قريباً من الفكر بدرجة فائقة، فهي تذكِّرنا بالصلاة الرَّبانية «يا أبتاه» وبالمغفرة، وبالملكوت وبالاهتمام بالأقارب كما اهتم يوحنا بوالدة الإله، وبكل احتياجات الجسد «أنا عطشان»، وعموماً تغرسنا هذه الكلمات [١٩] في الصليب.

٣- وكما قال الرسول «أنا أريكم طريقاً أفضل» (١كور ١٢: ٣١)، لنُصلِّي الصليب على هذا النحو:

أولاً: أنْ نبدأ بقبول الموت، أي موتنا الجسداني كحقيقةٍ، ونحمل معنا هذا الموت إلى الإيمان بالمسيح المصلوب، ونحوِّل الموت الطبيعي إلى موت نعمة المصلوب، أي موت الصليب، عندما نتعرى من كل فكر، ونتجرد من كل شهوة وقت الصلاة.

ثانياً: أنْ نسأل الرُّوح القدس، الملك السمائي أنْ يجعل نظرنا ثابتاً على معاني الصليب، أي المحبة الباذلة التي قدَّمت كل شيء، ولم تحفظ أي شيء، بل تركت كل الأشياء، والألقاب، والأسماء، وحتى صفات المجد والقوة، وقَبِلَت العار، والجَلد، والموت، والهُزء، وتنكُّر الأصدقاء، وقساوة الأعداء ... وماذا

١٩- المقصود كلمات أو عبارات الرَّب السبع على الصليب.

يمكن أن نضيف إلى هذا، أليس هذا هو مجال الحياة اليومية؟!

لنُصلِّ لكي نقترب بقوة الرُّوح القدس من كل هذه الأُمور، ونجعلها مسامير الحياة العقلية، وجراح المحبة، لكي نقوم مع الرَّب بمجد الرُّوح القدس.

الصلاة، وسِّر الشكر

١- لا تستطيع كلماتنا مهما كانت، أنْ تُعبِّر عن عطاء محبة الله، الآب والابن والرُّوح القدس. ولا أنْ تشرح هذا السِّر الإلهي الفائق الذي يفوق قدرة العقل. هو سِّر مجيدٌ وفائقٌ؛ لأنه هو سِّر المحبة الإلهية، والمحبة تعلو على كل قدرات العقل، ومقاييس الفكر.

٢- إننا - أولاً - نأخذ حياةَ وأُقنوم الابن الكلمة المتجسد الذي يُعطي لنا لاهوته وناسوته؛ لأنه الكلمة المتجسِّد الذي لا ينفصل لاهوته عن ناسوته. وثانياً، لأننا نأخذ حياة الابن الوحيد بالرُّوح القدس الذي ينير عقولنا، ويرتِّب لنا كيف نشترك في الابن، مثل اشتراكنا فيه هو بالتقديس، وبإعلان الأسرار الإلهية؛ لأنه روح النبوة والحكمة. الذي يكشف لنا أسرار الله.

٣- ومِن هذا السِّر الفائق نتعلَّم كيف نُصلِّي، وكيف تقوم شَركة الصلاة؛ لأنه هو سِّر وحدة الكنيسة جسد المسيح، وهو اجتماع كل المؤمنين معاً بالرَّب رأس الجسد، ومُخلِّص كل الأعضاء.

الإفخارستيا مدرسة الصلاة

٤- نحن نُصلِّي كجسدٍ واحدٍ له عدة أعضاء، وهي جميعها لها حياة واحدة، هي حياة ابن الله، الذي يجمع الكل معاً بالحياة الواحدة التي يعطيها لنا؛ لأننا بدونه لا حياة لنا في ذواتنا. والصلاة تُولَد من المعمودية، وتتغذَّى وتنمو من سِّر انضمام الفرد الواحد إلى الشَركة في المعمودية، إلى سِّر حياة الشَركة في الإفخارستيا، وهي الاسم الرسولي، أي سِّر الشكر الذي فيه نقترب من الثَّالوث القدوس لنكون معه واحداً؛ لأنه هو ينبوع وأصل كل وحدة حقيقية.

٥- نحن نُصلِّي لكي يكون لنا شَركة مع بعضنا في يسوع المسيح، ولأننا نأخذ جسد ودم ربنا يسوع نصبح أعضاء بعضنا البعض، وتصبح صلاتنا هي صلاة الجماعة، ولأجل حياة الجماعة، التي توهَب في يسوع المسيح.

التمجيد والشكر

٦- يبدأ القُدَّاس بتمجيد الثَّالوث [٢٠]؛ لأن الكنيسة هي «منزل» الله الآب والابن والرُّوح القدس. وحيث يحل الله - حسب وعده - توجد الكنيسة جسد ابنه الوحيد. وكما أرسل الله الآبُ الابنَ الوحيد لكي يتجسَّد، ويحل بيننا ويصنع له مسكناً، أو بيتاً بين البشر، يرسل الآن روحه القدوس الذي بنى وشيَّد «مسكن» الابن، أي ناسوته الحقيقي الذي أخذه من سيدتنا العذراء والدة الإله؛ لكي يجمع كل الذين يرغبون في شَركة، ويُقرِّبهم من «المسكن» الحقيقي، أي ربنا يسوع المسيح، الذي حل وسكن بيننا بالرُّوح القدس، وجعل الرُّوح القدس يجمع حوله أعضاء جسده، أي الكنيسة [٢١].

الروح يتحرك نحونا

٧- نحن نُصلِّي بالرُّوح القدس؛ لأنه هو الذي «يرتِّب» في قلوبنا، الاعتراف الحسِن بالإيمان بيسوع المسيح كربٍ ومُخلِّص، وهو الذي يعطي لنا الشَركة الواهبة الحياة في جسد ربنا يسوع المسيح. وقد أخذنا روح الحياة، الروح الذي أقام يسوع من الأموات، لذلك نطلبه قبل بداية الليتورجية المقدسة، سائلين أن يمنح لنا قوة الطِلبة، وانتباه القلب، لكي نعرف كيف نقف في حضرة الثَّالوث المحيي، وننال من نبع الحياة الأبدية، فيض الخلاص الذي أُعلِن في يسوع المسيح، والذي بشَّرنا به الرُّوح القدس في بشارة الرسل.

٨- تبدأ صلواتنا بالشكر بعد تمجيد الثَّالوث. ونحن نشكر لكي نقدِّم الاعتراف

٢٠- "مجداً وإكراماً للثالوث القدوس الآب والابن والرُّوح القدس".

٢١- راجع عبارة القُداس "سلاماً وبنياناً لكنيسة الله الواحدة الوحيدة، المقدسة الجامعة الرسولية".

الطاهر على وجودنا في البيعة المقدسة، وعلى عطية الوجود في حضرة الثَّالوث، وعلى سائر النعم الإلهية، وعلى عطية الحياة هنا على الأرض؛ لأن عناية الله قد حفظتنا إلى هذه الساعة [٢٢]. والصلاة المرتبة على إيمان الآباء الرسل تبدأ بتمجيد الثَّالوث والشكر، لكي لا نبدأ صلواتنا بطلبات وتوسلات وشفاعات حتى لا نفقد ترتيب الصلاة، أي نفقد الإيمان بجود الله وصلاحه.

شفاعة الرُّوح القدس

٩- بالتمجيد والشكر ندخل نهر النار الإلهية، أي الرُّوح القدس الساكن في الكنيسة جسد المسيح، والذي مَسَح يسوع ليكون «المسيح»، لكي يؤسِّس بمسحته، ليس الاسم فقط، بل لكي يفتح ينابيع العطايا ويمسح الجسد الذي يتكون من جسد المسيح المولود من البتول، أي نحن جماعة المؤمنين.

نحن ندخل بالتمجيد والشكر هذه النار الإلهية، يحركها الإيمان الذي فينا؛ لأننا بسبب تجسد الابن الوحيد صارت لنا حركة متبادَلة بين اللاهوت والناسوت، فقد جاء إلينا، لكي نجئ نحن إليه، هو جاء إلينا بأُقنومه، وعندما يتعذَّر علينا أنْ نجئ إليه بسبب الضعف والجهل «لأننا لسنا نعلم ما نُصلِّي لأجله كما يليق، ولكن الروح نفسه يشفع فينا بأناتٍ لا ينطق بها» (رو ٨: ٢٦). فهو قريب جداً، أقرب مما نظن، ليس فقط؛ لأنه يملأ المسكونة وكائن في كل مكان، بل كما يقول المزمور «أين أذهب من روحك، ومن وجهك أين أهرب» (مز١٣٩: ٧). فإذا كان داود النبي يعرف أنه لا يستطيع، وهو «مسيح الرَّب» أنْ يهرب من الروح الذي مسحه ملكاً على إسرائيل، فلماذا نتصور أن الروح يهرب من الذين في يسوع قد مُسحوا مسحةً أبديةً، حسب قول الرَّب «أنا أطلب من الآب، فيعطيكم معزياً آخر ليمكث معكم إلى الأبد» وهو ليس فقط معنا، بل هو كما يقول الرَّب «يكون فيكم» (يوحنا ١٤: ١٦-١٧).

٢٢- يبدو لمن يقرأ أن الأب صفرونيوس يكتب وصلاة الشكر في ذاكرته.

فالرُّوح القدس الذي جاء من عند الآب – ليكون معنا – تحُرِّكه المحبة نحونا؛ لأنها طبيعته الفائقة التي ترى خدمته ورعايته، والتي تجعل أشواقه النارية تندفع نحونا حتى في الصلاة، لكي تفتح قلوبنا لمعرفة سر المحبة الذي لا يُدرَك. وإذا كان الروح يشفع فينا بأنات لا يُنطق بها، فكم بالحري يتحرك معنا وفينا عندما نسعى نحن نحوه بالشوق والمحبة التي سبق هو فغرسهما في قلوبنا.

١٠- ويشفع الرُّوح القدس فينا، ليس فقط بإعلان محبة الله، بل؛ لأنه يأخذ من قداسته الملتهبة بنار المحبة والشوق الحقيقي الإلهي لخلاص الإنسان، ذلك الشوق الذي كان في تدبير الله قبل خلق العالم، والذي تجسَّد بتجسُّد الابن، وجاء مع وفي أُقنوم الابن المتجسِّد، واشتعل إنسانياً مثل لهيب نار عندما اتحد اللاهوت بالناسوت في أحشاء البتول، فصار نار المحبة الواحدة الأزلية، التي يأخذ منها روح المحبة (رو ٥: ٥) ويسكب فينا محبة الآب والابن والرُّوح القدس.

أمَّا نحن الذين لا نفهم ما هو فائق، بل أحياناً لا نُدرِك ما يجب أنْ نقوله في الصلاة، يحركنا الرُّوح القدس بشوق المحبة الذي في قلب يسوع، وهو ذات الشوق الذي كان منذ الأزل، وسكن في قلب الرَّب كإنسان، ونُقِلَ من أُقنوم الابن المتجسد إلى الكنيسة بقوة الرُّوح القدس، وبشوق الثَّالوث الواحد ليكون قوة حياة في الكنيسة.

تأمَّلوا أيها الأُخوة كيف يشتاق الرَّب إلينا، وكيف أراد أنْ يعطي كل ما له حتى جسده ودمه، وكيف سَلَّمَ هذا الشوق للروح القدس الذي مسحه وسكب فيه أشواق الآب، وأشواقه هو، وصاغ ذلك الشوق الواحد غير المنقسم وجعله في إنسانية الابن ليكون فيه هو كإله وأُقنوم متجسِّد، ذلك الشوق الإلهي ولهب الحب غير المنقسم. وتأملوا كيف عاد شوق الإنسان إلى الله بمجئ آدم الجديد، أي شوق الصورة الإلهية إلى أصلها، أي الثَّالوث القدوس.

هذه هي بداية شفاعة الرُّوح القدس التي لا تُدرَك إلاَّ بما ذكرناه، وهو أقل بكثير مما هو كائن في جوهر المحبة، أي الثَّالوث القدوس.

الكلمة الإلهية، أي كلمة التعليم

١١- قبل أنْ ندخل شَركة جسد الرَّب ودمه، نسمع كلمة التعليم الرسولي، أي كلمة الله الحية، التي نطق بها الآب والابن والرُّوح القدس، وأعَلَنَ بها حقائق التعليم وأساس الحق. وهكذا ندخل مرحلة الاستنارة بكلمة التعليم [٢٣] التي تجعلنا نرى ذواتنا كما في مرآة؛ لأن كلمة الله هي مرآة العقل [٢٤]، يتحرك بها نحو الحق، ويُدرك بها الأشياء، ويرى العقل قدراته ورغباته عندما يدرس كلمة الله، ويُدرِك ما هو ناقصٌ، أو غير معروف، لكي يطلبه من الله «الذي يعطي أكثر مما نطلب أو نفتكر» (أف ٣: ٢٠).

١٢- لنُصلِّ عندما نسمع كلمة الله؛ لأن صلوات الكنيسة الجامعة [٢٥] التي تسبق تلاوة كلمة الله تحثنا على الصلاة وطلب نور الرُّوح القدس، بل والشهادة ليسوع المسيح ربنا لنكون مثل الرسل والقديسين والشهداء الأطهار.

قُبلة المصالحة

١٣- ما أجمل وأعظم هذا الترتيب الإلهي؛ لأننا بالمصالحة نتطهر من الانقسامات الداخلية، والحروب التي يزرعها عدو المحبة الوحيد، أي الشيطان وقواته الشريرة.

١٤- لنتعلم كيف نتطهَّر بالسلام السمائي؛ لأننا عندما ندخل «خدمة المصالحة» التي أعطانا إياها ربنا يسوع المسيح (٢ كو ٥: ١٨) فإن الكاهن والشماس ينذر الشعب بالصلاة وبالإنذار [٢٦]، يطلب كلاهما عن المسيح نفسه أنْ نتصالح مع

٢٣- حسب التعليم الآبائي يسير ترتيب الحياة الروحية في اتجاه واحد نحو الله، ويبدأ بالتطهير، ثم بالاستنارة، وينتهي بالإتحاد. هذه ليست مراحل منفصلة متباعدة، بل هي مرحلة واحدة هي النمو والتدرج الدائم نحو الله، أي نحو الإتحاد. وهذه المراحل الثلاثة تظهر بشكل واضح في كتاب رئاسة الكهنوت لديونيسيوس الأريوباغي وعظات العلامة أوريجينوس على سفر النشيد، وفي مؤلفات كل الآباء. وهي الأقسام الروحية للقداس الإلهي الذي يبدأ بالتطهير برفع البخور، ثم بالاستنارة بالكلمة والاعتراف بالإيمان، ويصل بعد ذلك إلى الاتحاد بالتناول الذي يسبقه حلول الرُّوح القدس.

٢٤- من التعبيرات الهامة عند آباء القرن الرابع، وهو يعود إلى العلامة أوريجينوس، فالعقل الإنساني يرى ذاته فيما ينطق ويقول.

٢٥- راجع الصلوات السرية التي تسبق البولس وباقي القراءات.

٢٦- الإنذار هو نداء الشماس "قبلوا بعضكم بعضاً .. الخ".

الله؛ لأن الله يعظ بهؤلاء، وهم يطلبون في الصلاة عن المسيح، تصالحوا مع الله (٢ كو ٥: ٢٠).

لنطلب بإيمان دون تردد أن نكون في سلام مع الله بيسوع المسيح، ومع إخوتنا، لكي يكون لنا سلام كامل في قلوبنا.

١٥- يقول الرسول: «أريد أنْ يصلِّي الرجال في كل مكان رافعين أيادٍ طاهرة بدون غضب ولا جدال» (١ تيمو ٢: ٨)، ولذلك لا نستطيع أن نتطهَّر للصلاة، وفي قلوبنا أحقاد وكراهية.

لنتعلم هذا الدرس الرسولي الذي هو أساس كل الأشياء السمائية؛ لأن مَن لا يغفر زلات الناس، لا يغفر له الآب السمائي زلاته (راجع مت ١٨: ٣٥)، وهو ما يجعل الرَّب يسوع يحذِّرنا قائلاً أن نترك من قلوبنا كل واحد لأخيه زلاته (مت ١٨ : ٣٥).

وعلينا أنْ نحترس؛ لأن زلة الأحباء موجعة ومؤلمة بسبب المحبة، ولكن علينا أن نجعل المحبة تنهض وتقف بقوة الصليب أمام الألم، وتصفح متشبهةً بالمسيح الذي صفح عن الكل.

تسبحة وشكر الكنيسة مع الخليقة

١٦- مِن صلاة المزامير نتعلَّم أن نُسبِّح مع كافة الموجودات العاقلة، وغير العاقلة. والتسبيح والشكر يُنهِض عزم المجاهدين ويقوي الرجاء؛ لأننا عندما نتأمَّل خليقة الله، وكيف يدبِّرها، يزداد إيماننا بقدرة الخالق ومحبته وصلاحه. وكلما استغرق الفكر في الإيمان بقدرة الله، كلما ضعفت فينا شوكة الكبرياء وحِدَّةُ الغضب؛ لأن ضآلة الإنسان أمام عظمة الكون لا تبعث في الإنسان صِغَر النفس، بل تخلق في الإنسان ثقة بمحبة الله.

١٧- تسبِّح وتشكر الكنيسةُ ربَ السموات والأرض، خالق كل الأشياء في يسوع المسيح ابنه، واهب الوجود والحياة والحركة لكل الموجودات. فهو

الكلمة الخالق، الذي جَبَل كل الأشياء، وهو الذي يحفظ الخليقة، وبدونه تعود إلى العدم، وهي باقية بقدرة الكلمة.

١٨- مِن الأرض أخرج الكلمةُ - بقوة كلمته؛ لأنه «حامل الأشياء بكلمة قدرته» (عب ١: ٣) - كلَ الكائنات. هو الذي يرسل ماء المطر، ويُنبت العشب على الجبال، ويعطي طعاماً لكل كائن حي (مزمور ١٤٧).

١٩- أقام الرَّبُ وليمةَ طعام لكل كائن حي، أعطى البشر أن يأكلوا من خيرات الأرض، وهو الذي أخرج الخبز لكي يشبع الإنسان من الطعام، وأعطاه الخمر بركةً كما يقول المزمور «خمر تفرح قلب الإنسان» (مزمور ١٠٤: ١٥). ولم يكن هذا عطاءٌ للشَّر ولا للخطية، والذين لم يفهموا عطية الخمر، مثل الذين لم يفهموا كل عطايا الله للخليقة، فالنار والماء والمعادن والأخشاب، كلها عطايا صالحة، ولكن ما أبشع وأفظع الأدوات التي عملها الإنسان لكي يدمِّر خليقة الله، ويدمِّر بها إخوته الذين ينتمون إلى نفس النوع.

٢٠- ويعطي الرَّبُ قُوتَ الخليقة «في حينه»، بل «يفتح يده فتشبَعُ الخليقة من الخير» (مزمور ١٠٤: ٢٧)، وهو الذي يدعونا لكي نأكل من الطعام، ولكي نشبع (تكوين ١ : ٢٩)، ونبارك اسمه.

حسب الجسد وحسب الروح

٢١- كانت بركة الخليقة الأولى، أي تلك التي قادها آدم الأوَّل إلى «البُطل» (رو ٨: ٢٠)، وقد أُخضعت كما يقول الرسول «ليس طوعاً» لفساد الموت، بل «من أجل الذي أخضعها»، بل «وعلى رجاء» مجيء آدم الثاني الذي سوف يتجسَّد وبموته وقيامته «يعتق» الخليقة من «عبودية الفساد» إلى «حرية مجد أوَّلاد الله» (رو ٨: ٢١).

وهكذا أعتق الابنُ بتجسُّده الخليقةَ من عبودية فساد الموت باتحاد أُقنومه بالناسوت المأخوذ من هذه الخليقة أي القديسة مريم، ليس «حسب الجسد»، بل «حسب الروح». جاء خالق كل الأشياء، وكوَّن أمه العذراء بكلمته

الخالقة، وجعلها الأرض الجديدة البكر، والسماء الثانية التي يريد أن يسكن فيها، لكي يُعلِن مجد الحياة الأبدية الآتية فيه وبه. فهو وحده الحياة، وهو وحده الواهب لكل الأشياء، ولذلك، بعطية الحياة للقديسة مريم، أي بخلقها سماءً ثانية، وبشراً، وأُماً حقيقية، أخذ منها ما هو مخلوق حسب آدم الأول، وقدَّسه وطهَّره، وجعله واحداً مع لاهوته بغير اختلاط ولا امتزاج ولا تغيير. وكيف حرر الخليقة بالاتحاد بأُقنومه؟

أولاً: عندما ردها من العدم الذي خلقت منه أولاً إلى أُقنومه الواهب الحياة، فأغلق هاوية العدم بتجسُّده.

ثانياً: عندما جعل ناسوته يُوجَد ويحيا ويتحرك كواحد مع لاهوته، فجعل الحياة الإنسانية حياته هو، وصار جسده – بذلك – ينبوع الحياة الجديدة، ورأس الجنس الجديد، وبداية الخليقة الثانية. وقد تم كل هذا «حسب الروح» وليس «حسب الجسد»، **وهذا يعني أن الابن له المجد لم يؤسِّس النعمة الإلهية حسب قانون ونظام الطبيعة الإنسانية الساقطة، ولا حسب قانون ونظام الطبيعة قبل السقوط، بل حسب قانون ونظام الروح، أي قانون الحياة الجديدة، الذي تكوَّن وتألَّق فيه وبه.**

وما هو هذا القانون وهذا النظام؟

والجواب ليس عسيراً على مَن يُقارِن بين آدم الأول وآدم الثاني. كان آدم الأول يملك قوة التوالد حسب الطبيعة الجسدانية التي نالت بركة الرَّب «أثمروا وأكثروا واملئوا الأرض»، ومع ذلك كانت الخطية وخضوع الإنسان لفساد الموت، سبباً في تعطيل هذه البركة؛ لأن نساء ورجال كثيرين كانوا غير قادرين على الإنجاب. وهكذا كانت سارة وأليصابات. وكانت قدرة الإنجاب «حسب الجسد» محدودة، وعاجزة. ونحن جميعاً ندخل الحياة حاملين فينا ذات طبيعة آدم القادرة على الإنجاب، والتي قُدرة الحياة فيها مستعبدة للموت. «نولد لكي نموت»، هذا هو قانون الحياة حسب الجسد.

ولكن عندما جاء آدم الثاني بالحياة الحُرة التي لا تخضع لعبودية الشيطان، ولا للموت، ولا للفساد، صرنا «نموت لكي نولد بالموت ميلاداً جديداً»، ولكن لا نموت موت الطبيعة الذي لا يؤدِّي إلى شيء، بل نموت بالمسيح، وفيه ومعه تتكون فينا حياة من الموت، كما تكونت حياة من العدم في آدم الأول مع فارق جوهري، وهو أنها الآن صارت ثابتة في المسيح الذي هو «الحياة» والقيامة.

ولادة حسب الروح

٢٢- نحن نُولد حسب الروح ولادة عقلية [٢٧]، ولادة من الشَركة في المسيح الذي هو «حياتنا». هذه الولادة ليست مادية ولا منظورة، ورغم أنَّ مياه المعمودية منظورة ومحسوسة، إلاَّ أنها تنال القوة العاقلة للروح القدس، وتصبح بقوة الرُّوح القدس، قادرةٌ على أنْ تغسل الجسد والنفس.

وكما وُلِدَ ربنا «حسب الروح» مثل ولادة إسحق، وولادة يوحنا السابق، أي ليس حسب قانون الإنجاب الجسداني، بل حسب الولادة الروحية التي تجعل كل مولود هو ثمرة الرُّوح القدس، الذي يخلق حياةً جديدةً، من الحياة القديمة، فهو يخلق من حياة آدم الأول وفي داخلها الحياة الجديدة، لكي يتحوَّل القديم والفاسد إلى جديد، ويتغير حسب المسيح، من الفساد إلى عدم الفساد، ومن الموت الطبيعي الذي تموت فيه الطبيعة حسب الجسد، إلى الموت الذي تموت فيه الطبيعة الآدمية حسب الروح في المسيح، نحن نتغيَّر بالموت من الحياة الآدمية التي يبلعها الفساد، إلى الحياة حسب المسيح التي يجددها المسيح بموت الصليب.

تأمَّلوا أيها الأُخوة كيف قدَّمْنا أعضاء أجسادنا آلات خطية ونجاسة، وكيف تصبح هذه الأعضاء آلات بر للمسيح؛ لأن موت المسيح يُطهِّر النية والخيال

٢٧- يوجد ترادف واضح في كل مؤلفات الآباء بين ''روح'' و ''عقل''؛ لأن ما هو ''عقلي'' نابع من الروح، وما هو روحي هو ''عقلي''، بمعنى أنه غير محسوس أو مادي. وهكذا استخدم الرسول بولس ذات الكلمة ''عبادتكم العقلية'' أي الروحية. وهنا يستعمل الأب صفرونيوس كلمة ''عقلي'' بمعنى الولادة غير المادية، غير المحسوسة.

والفكر والإرادة والعواطف، ويجعلنا نرى في موت الرَّب لأجلنا، الموت الذي يُحرر من الفساد، وينقلنا إلى حياة المسيح التي تتجه نحو الآب السماوي، بقوة ومحبة الرُّوح القدس.

حياة حسب الروح

٢٣- وأمَّا الحياة حسب الروح، فهي تلك الحياة التي يكوِّنها المسيح فينا. ليست حياةً جسدانيةً، بل حياةً روحيةً في الروح، أي في الفكر والإرادة والمشاعر. حياة تطلب الله، وتسعى نحوه بنعمة الرُّوح القدس، حتى تتحوَّل الحياة الإنسانية القديمة إلى حياة المسيح نفسه، بالسلوك وليس بالتأمُّل وحده، بالممارسة وليس بالقول.

ونحن نتشبَّهُ بالمسيح عندما نولَد مثله من الرُّوح القدس وكمثال لولادته، ونموت مثله مصلوبين كل يوم على مثال موته، أي عندما نُفضِّل أنْ نعيش للآب، فننقل محبتنا لذواتنا من محبة الذات المغلقة على الذات، إلى محبة الذات المنسكبة في محبة الله، والتي تُبذل بمحبةٍ، وليس عن قهرٍ إلى الآب قرباناً في قربان ابنه الوحيد ربنا يسوع المسيح.

صلاة حسب الروح

٢٤- وترسم لنا هذه الحياةُ الجديدةُ حدودَ الصلاة وجوهرها، فهي لا تُعطى لنا صلاةً حسب الجسد، أي صلاة من أجل هلاك الأعداء وفناء الأشرار، والانتقام، والحصول على مُتع العالم الزائلة؛ لأن كل هذه الأُمور تخلق فينا شهواتٍ، وشرورٍ تزداد حسب نوع الحياة التي نحياها.

أمَّا الصلاة حسب الروح فهي:

أولاً: ترى أنَّ كلَ الأشياء المنظورة صادرةٌ عن غير المنظور، وكل المرئيات المحسوسة خلفها قوة وإرادة إلهية، ونعمة روحية تحفظها وتُعطي لها البقاء. فأصل العالم المادي المحسوس هو العالم الروحي، أي قوة الحياة، قوة الرُّوح

القدس وعمله الذي يعطي هبة الحياة لكل الكائنات.

وثانياً: تكشف الصلاة حسب الروح القوةَ غير المنظورة التي تحرِّك المنظور؛ لأننا نقف مع العالم الروحي الذي يحرِّكه الرُّوح القدس، أي عالم الملائكة والقوات الروحية السمائية التي يعطيها الرُّوح القدس خدمةً خاصةً ورعايةً للمنظورات، لا سيما لنا نحن البشر الذين نجد أنفسنا في معسكر الملائكة. وما أعظم أنْ نرى يدَ الله وهي تحرِّك الخليقة المنظورة نحو مقاصد الله.

هذا ما تغرسه فينا الليتورجية المقدسة؛ لأننا نرى فيها اجتماع السماء والأرض معاً تحت رأسٍ واحدٍ هو يسوع المسيح، وبه ومن أجل الوحدة التي أسسها هو بحياته المتجسِّدة التي جمع فيها اللاهوت والناسوت في أُقنومه، فوحَّد بين المنظور وغير المنظور، ليس فقط بإتحاد الاثنين فيه، بل لأنه جمع تحت رأسه، أي تحت سلطانه كل ما هو أرضي، وكل ما هو سمائي، ووحَّدهما لهدفٍ واحدٍ، وهو المجد الأبدي في الشَركة في المحبة الإلهية الواحدة.

نحن نُصلِّي حسب الروح، عندما «ننقاد بروح الله». ولذلك السبب نطلب الرُّوح القدس في الخدمة لكي يعطي لنا جسد ودم ربنا يسوع، كما أعطاه له عندما تجسَّد من البتول القديسة مريم، فهو الذي يعطينا ذات الجسد حسب الرُّوح القدس، أي كنعمةٍ وعطيةٍ، لا تخضع لحدود الطبيعة والحياة حسب الجسد، أي الخليقة الأولى التي فسدت بالخطية.

٢٥- وهكذا نحن نُصلِّي لكي نصبح «جسداً واحداً وروحاً واحداً»، أي أنْ نصبح الإنسان الجديد المخلوق حسب البر، الذي وإنْ تنوعت أفراده وأعضاؤه، إلاَّ أنه واحدٌ؛ لأنه المسيح، أي مأخوذ من المسيح، وحَيٌّ بالمسيح، ومُتَّحدٌ به؛ لأنه يتكون جديداً من آدم الثاني، ليس بقوة التوالد والإنجاب، بل بقوة وعمل الرُّوح القدس.

ويتكون هذا الإنسان بالصلاة؛ لأنها سعيٌ دائمٌ للتحوُّل والتجديد لنكون على صورة المسيح، ونصبح فيه وبه الخليقة الجديدة الحية بقوة الكلمة، أي كلمة الله، والتي تشرب من مياه الحياة، الرُّوح القدس، وتأكل خبز الحياة، أي جسد

الرَّب ودمه، وهي جميعاً ينابيع الحياة الفائقة التي تنسكب من المسيح وتحيا به وحده؛ لأنها ليست ينابيع حياة آتية من الخليقة القديمة، حيث يستطيع مَن يشاءُ أنْ يصل إليها، بل هي ينابيع الحياة التي من الخليقة الجديدة التي تُعطى بالإيمان وبالرُّوح القدس.

٢٦- يوحِّدنا الروح معاً في جسدٍ واحدٍ، بالإفخارستيا، وهو ما يجعل صلاة كل فرد منا هي صلاة الجماعة، وصلاة الجماعة هي صلاة الفرد.

وحسب الجسد نحن عدة أفراد، كل منا له جسده، وحسب الروح نحن أعضاء جسد واحد، إذ يتحوَّل الفرد إلى عضو، والعضو هو وجود أقل من وجود الفرد، ولكنه الوجود الأعظم.

نحن نترك حياتنا القديمة عندما نتَّحد بالمسيح لكي تصبح أقل مما كانت عليه قبل التجديد، لكي تصبح أعظم، على مثال الذي «أخلى ذاته وأخذ صورة عبد».

أمَّا نحن فإننا نترك الاهتمامات الدنيوية، وكما قال الرَّب «حقول وبيوت ... الخ» لكي نصبح الخليقة الجديدة التي لا تملك شيئاً بالمرة في الخليقة القديمة، ولكن ما تملكه في الخليقة الجديدة هو أعظم من كل ما هو كائن في الخليقة القديمة.

«وحسب الجسد» لنا طول وعرض، ولون وسائر الصفات المنظورة التي تخلق التنافر؛ لأن الخليقة الأولى لا تملك «قوة ونعمة تُوَحِّد»، إلاَّ ما هو مقبول حسب الطبيعة. أمَّا الخليقة الجديدة فطولها وعرضها وقوتها، المسيح، الذي لا يُقاس بما نعرفه عن الجسد، فالمسيح لا يقاس، بل هو الذي يقيس كل شيء، ولا يُوزَن، بل هو الذي يَزِن كل الأشياء، ولا يُقَيَّم، بل هو الذي يعطي قيمةً لكل ما هو كائن. وهو ربٌّ واحدٌ، وابنٌ واحدٌ متجسِّدٌ، «هو هو أمس واليوم وإلى الأبد» (عب ١٣: ٨) ولكنه يُوزِّع حياته على المؤمنين، ويجعل حياته هو كائنةً في كل واحد، يتكاثر وينمو دون أن ينقص، يجمع دون أن ينقص أو يزيد، تزداد أعضاء جسده عبر الزمان، ويظل الجسد الواحد. كل هذا لا يحدث حسب الجسد، بل حسب الروح، ولذلك كل

ما هو حسب الروح يُعطى بالصلاة، وما يُعطى بالصلاة هو عطية ونعمة لا تنتمي إلى الطبيعة القديمة التي تعرف وتفهم كل شيء بالطول وبالعرض، والمسافة والسرعة، والحركة .... إلخ

هذه هي الطبيعة التي تولد وتموت حسب قانون الطبيعة الأولى القديمة، أمَّا الطبيعة الجديدة، فهي تولد لكي تأسر الموت، وتحيا دون موت، بل يخدمها الموت – كما ذكرنا سابقاً – وتوجد وتتحرك بقوة وعمل الفادي والمُخلِّص يسوع المسيح، وليس بالقوى الطبيعية التي أودعها الله في الجسد.

٢٧- عندما نُصلِّي من أجل نقاء القلب، فإننا نُصلِّي بالرُّوح القدس، وتصبح صلاتنا حسب مشيئة الله؛ لأنه يريد نقاوة قلوبنا.

وهذه هي الصلاة من أجل نقاء القلب: أنْ نحب كل الناس وكل الكائنات كما يحبها الله، أي محبةً لا تسعى وراء منفعة، وتعلو على كل الواجبات والعرف والتقاليد، بل حتى الحقوق التي يقررها الناموس؛ لأن الرسول قال «المحبة لا تطلب ما لنفسها» (١ كور ١٣: ٢).

٢٨- ويبدأ نقاء القلب بمطاردة الأفكار الشريرة النابعة من المُخيِّلة، أو تلك التي حفظناها في الذاكرة.

لنطلب قوة الرُّوح القدس المُتعطش لأن يملأ حياتنا بحياة الابن المتجسِّد، ويخلق فينا الإنسان الجديد.

لننظر إلى يسوع المسيح ربنا الذي هو آدم الثاني، لكي نرى كيف تُولَد وتحيا آدميتنا (الطبيعة الجديدة التي خلقها آدم الثاني) الجديدة. فقد خُلِقَت بالرُّوح القدس في مياه المعمودية، وتكونت بكلمة الله الحية لكي تقودُ كلمةُ الله الحيةُ، الحياةَ الجديدةَ المولودةَ من فوق، أي من الماء والروح. والمولودة من الصليب المجيد، الذي هو باب الحياة؛ لأنه مثل «رَحِم»، أو مثل «الباب الضيق» لا يسمح بمرور الحياة القديمة المتشامخة. والمولودة من القيامة الإلهية، أي عدم الفساد وعدم الموت؛ لأننا بالقيامة نولد لحياة عدم الموت، التي تُقدِّم

دون خوف، وتبذِل دون تردد، وتُعطي برجاء، وتسعى نحو ما هو مجيد ومقدَّس.

وإذا تأمَّل القلب في حياة المسيح، وسعى نحوها، فإن الفكر القديم يضعف ويتلاشى، والصور القابعة في الذاكرة والمُخيِّلة تموت بسبب قوة الحياة التي يعطيها لنا ربنا يسوع، وهي تطرد الحياة القديمة وتستولي عليها، لكي تحوِّلها إلى حياةٍ جديدةٍ، أو تلفظها مثل «نفايةٍ» حسب قول رسول الرَّب، بولس الذي اعتبر حياته السابقة قبل الإيمان «نفاية» من أجل أن يربح المسيح ويوجَد فيه.

يُطهِّر التأملُ المُخيِّلةَ؛ لأنه يقودها إلى أنْ تُدرِك قوة الحياة الآتية التي وهبها المسيحُ لنا بموته وقيامته. وتنقي كلمة الله الحية – أي كلمات صلوات الأنبياء والقديسين – الذاكرة التي تحفظ هذه الكلمات «وتهذُب» فيها ليلاً ونهاراً حتى يقوى الحق الكامن في هذه الكلمات والذي يبثه الرُّوح القدس في الذاكرة، فتقف كلمة الله مثل سيف ناري يحرس الذاكرة، ويبيد آلام الخطية وشهوات وجهل الصبا وحركات الطفولة، وطياشة الفكر.

المذبح المقدس السمائي

١- لدينا مذبحٌ واحدٌ يعطي ذبيحةً واحدةً، وهو ربنا يسوع المسيح الذي - بالنية والفكر والإرادة - قَدَّم ذاته لنا مُعطياً حياةً لكل مَن يأكل جسده، وقيامةً من الموت لكل مِن يشرب كأس العهد الجديد، أي دمه المقدس.

نحن ندخل الكنيسة لكي نأكل من ثمرة شجرة الحياة، التناول المقدس الإلهي الكامل في كل شيء، وعندما نشترك مع الخليقة في التسبيح والشكر نؤهَّل لأنْ نأكل طعام الحياة الأبدية، ذلك الطعام الذي ننال به الاتحاد الكامل بالمسيح.

٢- فالمسيحُ هو الكاهنُ، والذبيحة، وإرادته هي المذبح؛ لأنها هي التي أعطت لنا ذلك الطعام السري الفائق الذي لا نُدركه حسب الجسد، بل حسب الروح.

وهكذا ندخل إلى الهيكل حيث يتوسط المذبح هيكل الرَّب؛ لأنه مثل القلب في الصدر أو العقل في الرأس، وخلف ستارة الهيكل يتم التقديس مُعلِناً أنَّ السرَ خفيٌ، وأنَّ الحقيقةَ سوف تُعرَف سرياً إلى يوم مجيء الرَّب الذي فيه سوف ينير خفايا القلوب، ويُعلِن سِّر محبته.

ونحن لا ندخل الهيكل قبل أنْ نتقدَّس بكلمة التعليم، مُعلِناً لنا الرُّوح القدس نفسه أنَّ الطريقَ إلى الهيكل مُغلقٌ على الذين لم يستنيروا بنور كلمة الله، أي رسائل معلمنا بولس، والإنجيل المقدس، وأسفار العهد القديم؛ لأن كلمة الله تبشّرنا بهذا السر العظيم، وتؤكد لنا أننا ننال هذه العطية الفائقة، أي حياة الابن المتجسِّد، لتكون حياته فينا، فهو الذي يوزِّع علينا جسده ودمه، كما أعطى تلاميذه القديسين في عُلية صهيون [٢٨].

٢٨- راجع القداس الغريغوري "يا الذي أعطى في ذلك الزمان .. اعطنا نحن أيضاً".

المذبحُ دعوةٌ للصلاة

٣- يدعونا المذبحُ للصلاة؛ لأنه خلف أيقونات القديسين، وهم شهود محبة ابن الله الذي أحبهم وشاركهم في آلامهم، وأشركهم في آلامه ومجده، وصاروا معه ذبائح روحية.

فالمذبح ينال مجد الذبيحة، وهو وإن كان من الخشب أو الحجر، إلاَّ أنه ناطقٌ سمائيٌ؛ لأنه رغم أنه من مادة غير ناطقة، إلاَّ أنه مثل خشبة الصليب، والقبر المقدس، ومياه المعمودية، وزيت الميرون، كل هذه دُعِيَتْ إلى وليمة العُرس الأبدي، لكي بها تدخل الخليقة غير العاقلة تدبير الخلاص، وتتجلَّى بقوة الرُّوح القدس.

أخذ ربنا يسوع المسيح جسداً آدمياً وبشرياً، فأخذ ذلك العنصر الأرضي وجعله آنيةً مقدسةً يسكن فيها، ويتَّحد بها لاهوته، وصار - بذلك - الرأس الذي يجمع المنظور وغير المنظور، وفيه تنال الخليقة غير الناطقة، بلغة البشَر، قوة وبركة محبته الإلهية.

لقد خلق الله المادةَ خادمةً للإنسان، وجعلها طعامه، وشَرابه، ومسكنه المؤقت الذي يشير إلى طعام وشَراب سمائي، وسكنٍ أبدي دائم، ليس مِن هذه الخليقة، وذلك لأن الله خلق السموات والأرض، وجعل الأرض لسكن البشر، لكي تكون السماء بعد ذلك سكناً أبدياً لهم، يدخلون إليها بالعناصر المادية التي يحملونها معهم في أجسادهم وأرواحهم، أي تلك التي تتجلَّى بنعمة وَهِبة الابن الوحيد، أي تلك التي أخذها هو من هذه الخليقة ومجَّدها بالإتحاد به، وصيَّرها في جسده، لكي تنال هبة البقاء في مجدٍ؛ لأنها خَدَمَت إرادة الآب، فنالت بركة الابن، ومِسحة الحياة من الرُّوح القدس.

٤- **وعندما تجسَّد ابن الله، وصار «كواحدٍ منَّا»، جعل لنا المادةَ خادمةً للتجديد، فهو قد جاء لكي يُكمِّل الخليقة الأولى، ويجعل الخليقة الثانية أعظم وأكمل، لا لكي تُباد الأولى، بل لكي تتحوَّل فيه مجيدةً، بلا غَضَنٍ،**

أو عيب، فزَرَع الخليقة الكاملة بتجسده من البتول كحبة الحنطة، ثم سكب الآبُ عليها مياهَ الحياة، أي الرُّوح القدس في الأردن، وماتت في الأرض على الصليب، وقامت تحمل معها الأرضي المُتجَلِّي بنور الحياة التي لا تغيب، أي تلك التي بُعِثَت من القبر.

٥- **وقدَّم لنا هذه الحياةَ خبزاً للحياةِ على مذبح محبته الأزلية، أي تلك التي كانت تُراقب الدهور، حتى جاء ميعاد العهد في العُلِّية، وقَدَّم فيه جسده ودمه مسفوكاً روحياً، ومذبوحاً بالإرادة، وموهوباً ومُعطىً بالمحبة الأزلية التي لا يقف أمامها عائق.**

٦- **وصارت الصلاةُ بذلك** – كما ذكرت سابقاً – **تحوُّلاً في كيان الإنسان، يشهد له المذبح والذبيحة، ويُعلِنه روح محبة يسوع**، أي الرُّوح القدس الذي يسكب محبة الآب في قلوبنا (رو ٥: ٥).

يشهد المذبحُ لنا بأن عهدَ يسوعَ قائمٌ، فنحن نأتي إليه، ونجده في الموضع المقدس، أي هيكل الله الآب، باقياً، **يدعونا أنْ نتقدم لنأكل خبز الحياة.**

لنصبح مثل المذبح، في ثباتٍ نُقدِّم الصلاة، وليكن (أي المذبح) هو الشاهد على محبة الرَّب لنا، المحبة الثابتة التي لا تؤثِّر فيها خطايانا، ولا تتغير حتى وإن أخطأنا.

يقول الرسول بولس عن ربنا يسوع المسيح أنه لا يستحي أن يدعونا أُخوةً قائلاً «أُخبر باسمك إخوتي، وفي وسط الكنيسة أُسبِّحُك» (عب ٢: ١٢)، فقد جاء ربنا يسوع لكي يخبرنا باسم الآب السماوي، ويُشركنا في حياة الآب، أي الحياة الأبدية التي عند الآب وقد أُظهِرت لنا (١ يو ١: ٢). هذه الحياة هي حياة الابن الوحيد الذي قال «كما أن الآب له حياة في ذاته، هكذا أعطى الابن أن تكون له حياة في ذاته» (يوحنا ٥: ٢٦) وهكذا جاء الابن وأشركنا في هذه الحياة لكي يكون لنا فيه هو حياة، وبه ندخل إلى هذه النعمة «ونقيم فيها» (رو ٥: ٢). **وإقامتنا في النعمة تبدأ بالميلاد الذي من فوق بسِّر حميم الميلاد الجديد، المعمودية المقدسة، ثم بالطعام السمائي الذي يُحيي ويُعطي**

«**إقامةً» دائمةً في ابن الله** حسب قوله الإلهي «من يأكل جسدي ويشرب دمي يثبت فيَّ» وأيضاً «يكون فيَّ وأنا أكون فيه» (راجع يو ٦: ٥٤ - ٥٦).

المذبحُ شهادةٌ تحرر الخليقةَ من الفساد

٧- إذا كانت الخليقة قد انحدرت مع الإنسان الأول إلى «البُطل» وخضعت للفساد لأن مَلِكْ الخليقة ورأسها الإنسان الأول خضع للفساد، **فإن تحرُر الخليقة من «البُطل» بدأ بتجسد ابن الله، فهو الذي جمع تحت رأسه الواحد، أي سلطانه كابن الله** (أف ١: ١٠) **كل ما في السماء وما على الأرض، وجعل الكل واحداً، أي ملكوتاً واحداً لملكٍ واحدٍ هو ربنا يسوع المسيح نفسه ابن الله، وابن الإنسان الواحد من اثنين: إلهٌ مساو للآب حسب وحدة الجوهر، وإنسان مساو لنا حسب التدبير.**

٨- وعندما نقول: **أُقنومٌ واحدٌ متجسدٌ** ابن الله وابن الإنسان، **فإن كلمة «واحد»** رغم أنها تؤكد عدم انقسام ابن الله بعد الاتحاد إلى اثنين حسب هرطقة نسطور الفاسدة التي لم تُميِّز التدبير الإلهي - إلاَّ أن كلمة «واحد» **هي إعلانُ مصالحةِ الله مع الخليقة، وعودة ملكوت الله** الذي انقسم بعد سقوط الملائكة وسقوط آدم **إلى ملكوتٍ واحدٍ تحت رأسٍ واحدٍ، هو يسوع المسيح ربنا الذي له المجد الدائم إلى الأبد آمين؛ لأنه ملكُ كل الدهور.**

٩- وهكذا جاء ابن الله، وتجسَّد من القديسة والدة الإله لكي «يُطهِّر» أي يفتدي الخليقة من الفساد. وجاء لكي يفدي العالم المادي المنظور، وهو ما يدعونا إلى الإشارة إلى عمله كرأس الخليقة عندما نقدِّس المذابح «ومغاطس» (جمع مغطس) المعمودية، والأيقونات المقدسة، وزيت الموعوظين، والمسحة السمائية الملوكية الميرون الإلهي، ثم الخبز والخمر.

ونحن نقول في أُوشية استدعاء الرُّوح القدس على ذبيحة الملك العظيم «نسألك يا رب نحن عبيدك الخطاة غير المستحقين أنْ ترسل علينا روحك القدوس، وعلى هذه القرابين لكي ينقلها ويطهرها ويظهرها قدساً لقديسيك». **ومن**

الضروري أن نعلم أنه عندما نقرأ كلمة «يُطهِّر» ومشتقاتها في صلواتنا، فإن التطهير هو انعتاقٌ من الفساد والبُطل. وهكذا بسبب حلول الرُّوح القدس على الخبز والخمر، فإن الطبيعة المادية للخبز والخمر تنال التطهير السمائي، أي لا تَعُد طبيعة فاسدة قابلة للانحلال حسب طبيعة الأشياء الساقطة الخاضعة للبُطل، بل تصبح سمائية مثل طهارة ناسوت ربنا يسوع.

وعندما تنتقل من الأرض إلى السماء؛ فإن اتحاد اللاهوت بالناسوت هو الذي ينقل كل ما هو أرضي إلى السماء، ويفتح ينابيع الحياة التي لا تموت ويُظهر لنا مجد العطية السمائية التي توضع على المذبح، وتجعل المذبح كما يقول القديس اثناسيوس الرسولي في القوانين الرسولية «هو الرُّوح القدس»؛ **لأن الرُّوح القدس هو طهارة وقداسة كل ما هو مادي في الكنيسة، وهو الذي ينقل كل الأشياء حسب قانون التدبير الإلهي إلى مجالات إتحاد اللاهوت بالناسوت.** وأحد هذه المجالات هو التقديسات (جمع تقديس) التي تتم في الكنيسة المقدسة، التي تنال ذات الاسم المُقدَّس الذي ناله الرَّب يسوع المسيح إذ دُعيت بكل حق «جسد المسيح»، واشتركت معه في أحد أسماء أُقنومه الإلهي؛ لأنها دعيت للاشتراك في مجد ملكوته الإلهي، **ودُعِيَت «جسد المسيح»؛ لأن الجسدَ هو الاسم الواحد الذي يُطلَقُ على الرَّبِ، وعلى القديسين؛ لأنهم من واحدٍ، أي الإنسان الواحد يسوع المسيح الذي هو أيضاً رب المجد، فهو بالربوبية رب المجد، وبالناسوت الواحد معنا؛ لكي ننال بالوحدة معه مجد أُلوهيته.**

١٠- **ويظل المذبحُ شاهداً على انعتاق الخليقة، ويصبح هو مكان التقديس وعلامة حضور الرَّب في الخليقة، وبمثابة دعوة إلى معاينة مجد «حرية أولاد الله»** (راجع رو ٨: ٢١)، **عندما ينال الكل الانعتاق من الفساد بالقيامة من الأموات.**

تحوُّل الخبز والخمر باستدعاء الرُّوح القدس في الليتورجية السمائية

١- عندما يحل الرُّوح القدس على قربان الكنيسة الجامعة الرسولية، فإن الخبز والخمر - بالصلاة، وبسبب دعوة الرَّب يسوع المسيح، أي بإرادته المُعلَنة في عُلِّية صهيون - ينتقلان إلى جسد الرَّب ودمه.

٢- **وهذا التحوُّل السري والسمائي ينقل الخبز والخمر من «عنصرين أرضيين» إلى «جسد الرَّب ودمه». وينال كلٌ منهما من المسيح** - الذي يدعونا إلى تناول جسده ودمه - هذه الهِبة. **ومن الروح** - الذي كوَّن جسد الرَّب في أحشاء البتول والدة الإله مريم - **التقديس؛ لأن وحدة عمل أقانيم الثَّالوث تتجلَّى في تجسد الابن، وفي تأسيس الأسرار السمائية إذ ينقل الابن - بالرُّوح القدس - حياته إلينا، كما ينقل الروح تقديسه إلينا وبنوته للآب**[٢٩]، ولذلك قِيل إنه من عند الآب ينبثق (يوحنا ١٥: ٢٦)، **ويختم الطبيعة المستعبَدة بختم البنوة لتصير طبيعة ممجدة في يسوع المسيح.**

٣- ويحوِّل الرُّوح القدس الخبزَ والخمرَ إلى جسد الرَّب ودمه، حتى إنَّ مَن يتناولهما يصير له الشكل ΜΟΡΦΕ المحيي، أي يحيا حسب صورة المسيح الحي، وينال بذلك الحياة التي لا تموت. **وعند تحوُّل القرابين على المذبح، ترتفع عقولنا لمشاهدة مجد الحياة التي لا تموت، وعندما نرى ذلك، نتحول - بالرؤية التي يعطيها لنا الرُّوح القدس - إلى إتحادٍ بعطية جسد ودم ربنا يسوع المسيح نفسه، وننتقل إلى مجد المسيح بالإتحاد بجسده المحيي ودمه الكريم.**

---

٢٩ - أي بنوة الابن.

-١٣-

لماذا أعطانا الرَّب جسده ودمه في شكل الخبز والخمر؟

١- كان الخبز هو أحدى سمات البركة في عهد الرَّب مع البطاركة. وهو ثمرة الأرض التي تنال العِتق، أي تتطهر بالتقديس كما سبق وقلنا، وبذلك تنتقل من رتبة الفساد والموت الأرضي إلى رتبة الحياة وعدم الموت السمائية. والخمر الذي يفرِّح قلب الإنسان (مزمور ١٠٤)، يُعطىَ الآن كأساً لفرحٍ أبديٍ، هو فرح لقاء المؤمنين بالعريس السمائي.

وكما يمتزج الخبز والخمر بالنفس والجسد، وتنال منه الحياة الإنسانية قوامها (أو جوهرها)، كذلك – بعد التقديس – تنال النفس والجسد قوام الحياة الجديدة، أي يسوع المسيح. وينال الجسد عربون القيامة.

أمَّا النفس فإنها تتغذَّى بحياة الرَّب يسوع وتتحوَّل إليه، وتصبح منه حيةً إلى الأبد لا يقوى عليها الموت، ولا ينالها سلطان الفساد.

أمَّا الجسد، فلأنه خاضعٌ للحياة الأرضية، يتحوَّل سرياً إلى جسد القيامة ونراه أحياناً عندما تلمع أجساد القديسين وتتجلى بنعمة الرُّوح القدس، ونحس به في حالات الفرح بالرُّوح القدس عندما ينعدم ثقل الجسد، ويلازم الروح أو النفس حتى تُرفَع النعمة عنا لكي لا نفقد حريتنا، ولكي نعود بحرية وشوق ونطلب الفرح السماوي.

٢- **وعندما ننال عطية الشَركة، فإن شَركتنا نفسها هي التي تجعل الخروج من الجسد مصدر تعزية وفرح؛ لأن الشوق إلى لقاء الرَّب يجعل لحظة الموت،**

أي لحظة النياح هي كمال اشتراكنا في السر المجيد [٣٠].

٣- وبسبب الفرح الشديد الذي نتذوَّقه في سر الشكر، تنتقل الروح إلى عالم النور، ومساكن الأبرار دون أن تلاحِظ أنها فارقت الجسد. ولذلك السبب - وحسب ترتيب الخدمة الإلهية (الليتورجية) - نتذكر القديسين الراقدين، ونسأل أنْ ننال معهم ذات الميراث «في أورشليم السماوية، كورة الأحياء»، وهذا يسبق تناولنا من الأسرار المقدسة، لكي مع جماعة القديسين ندخل ميراث الملكوت السماوي، ولذلك السبب عينه دُعِيَت هذه الصلوات باسم «مجمع القديسين»؛ لأننا بالمسيح يسوع ربنا، وبذات الذبيحة التي تقدَّسوا بها «نجتمع» معهم بالمسيح، لكي يكون الكل جسداً واحداً، أي كنيسة واحدة وحيدة مقدسة جامعة رسولية.

٤- وقربان الخبز والخمر يُعطى لنا غذاءً روحياً؛ لأن ربنا يسوع المسيح جاء لكي يفتدي الخليقة كلها، «وثَبَّتَ» الطغمات السماوية بتواضعه وتجسده، وبذلك فَدىَ كل القوات السماوية من «حسد» رئيس طغمة التسبيح الذي سقط بشهوة الأُلوهة عندما أراد أنْ يصير مثل الله مستقلاً عنه، وباختطاف مجد الله. وفَدىَ الإنسانية بموته على الصليب من الموت، وفَدىَ سائر عناصر الكون عندما جَمَعَ المياه إلى تقديس الروح، وثمار الأرض، أي الخبز والخمر إلى عطية الحياة، أي جسده المقدس، وبذلك طهَّر كل العناصر، وفَدىَ العالم العلوي والعالم المنظور، وجعل نورَ حياةٍ جديدةٍ يُشرِق بقيامته من الأموات.

٣٠- كانت أحد أسماء الإفخارستيا القديمة جداً "الزاد الأخير" أي آخر ما يناله الإنسان قبل الموت أو النياح.

-١٤-

تجلّي المسيح المُحيي في سر الإفخارستيا

١- بتحوُّل الخبز والخمر - سرياً - وبعمل الرُّوح القدس لا تبقى العناصر الأرضية كما هي، بل تتقدَّس، وتنال قوة حياة الابن الوحيد، وتصبح مثل ثياب الرَّب التي تغيَّرت على جبل طابور، أي تُشع بنور ومجد اللاهوت؛ لأن كل مَن «التصق بالرَّب» صار معه «روحاً واحداً» (١كور ٦: ١٧).

وهكذا، بالصلاة تتجلَّى هذه العناصر (الأفضل، العنصرين أي الخبز والخمر)، وتنال بهاء ومجد اللاهوت، وتصبح - بسبب قوة الحياة التي للابن الوحيد - جسده ودمه، أي حياته الإلهية. وكما أخذ أُقنوم الابن جسداً ونفساً في تجسده، يأخذ إليه الخبز والخمر ويجعلهما جسده ودمه، وبذلك ينتقل شكل المسيح المحيي إلى الخبز والخمر، ويصبح ما نقدِّمه على المذبح هو جسد الرَّب ودمه؛ لأن القيامة من الأموات هدمت سلطان الموت، وأبادت الفساد، وأشرقت بنورِ حياةٍ لا تغيب، وهكذا تُشرق حياة الرَّب وتتجلى ببهاءٍ ومجد حتى أنَّ كل ما يقترب منها ينال ذات البهاء وذات النور البهي، مثل المياه التي إذا وُضِعَت على النار، أخذت حرارة النار وقوتها ونقلت الحرارة إلى كل جسد يتصل بها أو يُغمَر فيها.

وهكذا يتجلَّى ربنا يسوع المسيح على المذبح مُحوِّلاً بقوته قربان الكنيسة إلى جسده ودمه حتى أننا نحن الذين نتناولهما نتحوَّل بدورنا إلى شكل المسيح المحيي المضيء بمجد الحياة التي لا تموت، أي الحياة الإلهية التي أعطاها الرَّب

لجسده المقدس بسبب الاتحاد بلاهوته[٣١].

هذا فعلٌ من أفعال الاتحاد الأُقنومي، والقيامة بشكل خاص؛ لأن قيامة الرَّب جعلت كل ما هو مُتصل بالموت عديم الجدوى. وعندما أبادت الموت نَقَلت كل عناصر الكون إلى مجال الحياة التي لا تموت، ونقلت حدود الموت من الكائنات إلى مجد القيامة. هكذا جَعَلت المياه «مياهً مُحييةً» في حميم الميلاد الجديد، والزيت إلى ختم الملكوت في سر المسحة، والخبز والخمر إلى «خبز الحياة النازل من فوق»، فلم يعُد الكون – تحت سيطرة الفساد – يُعطي الغذاء والسكن والملابس لطبيعة تموت، أي الطبيعة الإنسانية، وبعد أنْ تتحلل ترقد في التراب، بل يُعطي الغذاء والمسكن والملابس حسب القيامة بقوة الرُّوح القدس، وحسب ما أعطاه الابن من حياة لكل مَن يخدم التدبير الخاص بالخلاص.

وعندما نقول إنَّ الرَّب نقل حدود الموت، فقد جعل هذه الحدود قاصرة على الشَّر والخطية، وبذلك أباد شر الإنسان كله، حيث ينتهي الشَّر إلى العدم، أي فكر الإنسان الملوث بالخطية، والذي يقول عنه المزمور «يتبدد عند الهاوية» (مزمور ٦: ٥) والذي رآه النبي فقال «قد عرفت أن أفكارنا لا تقوم عندك».

أمَّا حدود الحياة، فهي في إتحاد اللاهوت بالناسوت. ونحن نرى هذه الحدود وقد تجلَّت ببهاءٍ عندما فتَّح الرَّب عيني المولود الأعمى بتراب الأرض الممزوج بلعابه، وببركة الخبزات والسمكتين، وبالسير على المياه؛ لأن عناصر الطبيعة خضعت له على رجاء أنْ يُعلَن خضوعها في يوم مجده، أي يوم الدينونة.

وكما نرسم أشكال القديسين ورموز حياتهم على الخشب والحجر، فإننا بذات الفعل نؤكد أنَّ شكل الابن الوحيد ورسمه (حرفياً ختمه) ⲥⲟⲫⲣⲁⲅⲓⲥ ينتقل من الحياة القائمة من الأموات إلى الحياة الميتة لكي يحيها حسب قدرة استطاعته أنْ يُخضِع لنفسه كل شيء.

٣١- راجع قسمة القيامة للابن: "فليضيء علينا نور معرفتك الحقيقية لنضيء بشكلك المحيي".

٢- وهكذا علينا أنْ نتناول الأسرار بفرحٍ مع الخليقة العلوية، ومع الكون الذي نال عربون الفداء بسر جسد الرَّب ودمه، ونال فيه، أي في المسيح بداية الخلاص الأبدي.

٣- وبعد صلاة المعمودية يُصلِّي الكاهن على مياه المعمودية لكي تعود كما كانت، أي عنصراً أرضياً، مُعلناً بذلك أمام الشعب نهاية الخدمة، وبأن شكل المسيح المُحيي قد خُتِمَ على المُعَمَّدين في مياه الأردن [٣٢]، وبذلك أخذ من المياه عنصر الحياة وقَدَّسه، وبه خلق الطبيعة الجديدة المساوية له حسب التدبير، فيعود العنصر الأرضي إلى ما كان عليه، حتى ينال التقديس الكامل في يوم مجد الابن الوحيد مُنتظراً معنا يوم الانعتاق من العبودية مثل انتظار أجسادنا يوم القيامة، إذ لا يخلُص الكون بدوننا، بل معنا في نفس اليوم.

٤- علينا أنْ ننتظر نعمة إعلان الرُّوح القدس لتجلِّي المسيح في سر الإفخارستيا، ولا نرغم أنفسنا أو نحصر خيالنا فيها؛ لأن هذا غير نافع، بل ضار لا سيما للمبتدئين.

٣٢- الأردن هو اسم جرن المعمودية القديم.

جسد المسيح
هو الذي يُكمِّل وجودنا الجسداني والروحي، ويجعلنا واحداً معه، ومع الآب بالرُّوح القدس

١- وعندما خلق الرَّبُّ الإله آدمَ وحواءَ قال «ليس حسناً أن يكون آدم وحده أصنع له معيناً نظيره» (تكوين ٢: ١٨)، وأخذ الرَّب من ضلع آدم وسوَّاهُ امرأةً. **أمَّا في التجديد، فقد أخذ الرَّب يسوع من ضلعه هو، وسوَّاهُ حواء الجديدة، أي الكنيسة التي من «لحمه وعظامه»** (أفسس ٥: ٣٠). **لقد أكمل الرَّبُ خلق آدم الأول بحواء، وأكمل الرَّب فداء الجنس البشَّري بحواء الثانية، أي الكنيسة المقدسة** التي أُخذت من جنبه المطعون الذي جرى منه الماء والدم مُعلِناً القوة الجديدة التي بها خُلِقَت الكنيسة الجامعة.

٢- ولما اتحد آدم وحواء نالا نعمة الاتحاد من الآب، وتكلم آدم بنعمة الرُّوح القدس وقال: «هذه عظم من عظامي ولحم من لحمي» (تكوين ٢: ٢٣)، **فأعلن السِّر المُزمَع أنْ يُكمِّله الرَّب يسوع بموته المحيي؛ لأن الموت كان هو عائق الإتحاد؛ لأن الموت يفصل الأحياء عن الأموات، ويهدم الاتحاد بين البشر. ولما رَفَعَ الرَّبُ الموتَ بالصليب؛ لأنه صلب الموت نفسه، أو أباده، حوَّله إلى قوة تهدم الخليقة القديمة؛ لكي تُقام «في عدم فساد»** (١ كو ١٥: ٤٢). وهكذا جاء الرَّب لكي يرفع الموت، وينقل حدود الحياة من الحدود حسب الطبيعة، إلى نعمة الحياة الجديدة التي تنال فيها الحياة حدود عدم الموت بقيامة الرَّب من الأموات. ولما نقل الرَّبُ الحياةَ من الموت إلى الحياة حسب إتحاد

أُقنومه الإلهي بالمائت، أي الجسد الذي أخذه من والدة الإله، جعل ذلك الجسد ينبوع كل النعم؛ لأنه:

أولاً: غيَّر شكله حسب إعلان مجد قوته على جبل طابور (جبل التجلي حسب التقليد الكنسي).

وثانياً: مَجَّدَ الناسوت بعدم الموت، وهذا يجعل الرَّب ينقل الناسوت من الحياة حسب الطبيعة إلى الحياة حسب قوة وعمل الرُّوح القدس؛ لأننا حسب طبيعة آدم الأول نحيا بما نأكله من ثمرات الأرض، وتستمر الحياة فينا بما نتنفسه من هواء وما نشربه، وبشكل خاص الماء. أمَّا آدم الثاني، فهو بعد قيامته يشرب من المياه الحية، أي تلك النابعة من أُقنوم الابن الكلمة الذي هو واحدٌ معه، ويتنفس «نسمة الحياة»، أي الرُّوح القدس، وبذلك صار قوة اتحاد للحياة؛ لأنه لا يسير مثلنا على قدمين، بل يتحرك بقوة اللاهوت، ولا يرى ويسمع بالحواس الإنسانية التي كان يرى ويسمع ويحس بها قبل قيامته وصعوده؛ لأن هذه الحواس صارت مغمورة في مجال الحياة الإلهية غير المنقسمة، وهكذا صار الرَّب «رأس» الخليقة الجديدة، ونقل الاتحاد من الالتصاق الخارجي حسب قوة الفكر والإرادة إلى الاتحاد حسب الروح الواحد الذي يعطي الحياة والبقاء لكل الكائنات.

وثالثاً: صار الرَّب – بسبب التدبير – هو الرأس الواحد «الذي يجمع كل شيء ما في السماء وما على الأرض (راجع أفسس ١: ١٠)، وهكذا جاء لكي يجمع وينقل الحياة من سيادة الموت، إلى سيادة نعمة الحياة الأبدية، ولذلك جمع كل ما هو للحياة، أي الوجود الدائم في الآب بالرُّوح القدس، وهو الوجود الذي ينقله إلى الكنيسة الجامعة لأنه «يجمع أعضاء جسده» ليس بإتحاد جسداني حسب طبيعة الجسد المادي المأخوذ من عناصر الأرض، بل حسب جسد الحياة التي دخلت مملكة الموت، أي الهاوية وهدمت وحطمت «المتاريس» أي العوائق التي كانت تجعل الحياة تحت سيطرة الموت.

٣- وبقيامة المسيح صار لنا نحن الذين أردنا – بسبب محبتنا للرب – أنْ لا نتحد

بامرأة أنْ ننال كمال اتحادنا الجسداني بالمسيح حسب «روح القيامة من الأموات». نحن جميعاً ذكوراً وإناثاً لنا رغبة في الاتحاد بآخر، وهي رغبةٌ طبيعيةٌ تؤدِّي بنا نحن البشر إلى الزواج، فالمحبة لا تشبع ولا تمتلئ إلاَّ بالاتحاد، وهذا الميل فينا، يعمل من أجل نمو الكنيسة وانتشار الكرازة بالزواج المقدس حسب إرادة ربنا يسوع المسيح. أمَّا الذين اختاروا عدم الزواج بسبب محبتهم للرب، فهؤلاء ينالون كمال الاتحاد بالرَّب على مستوى الجسد، وعلى مستوى الروح، فعلى مستوى الجسد، أي جسد الرَّب يسوع المسيح نفسه الذي به يتحدون في السر المجيد، وعلى مستوى الروح، أي الحياة الجديدة التي يعطيها الرَّب يسوع للخليقة الجديدة.

وهكذا أخذنا من الشيوخ الذين سبقونا وساروا في طريق القديسين أن البتولية هي زواج النفس بالرَّب؛ لكي ينقل هذا الزواج كل قوانين وشهوات الجسد التي تسود على آدم الأول إلى نعمة الاتحاد بالرَّب، فننال بذلك سلام القيامة الذي يسود على قلوبنا حتى في لحظات الصراع ضد شهوة الجسد (الشهوة الجنسية)؛ لأن الجسد الذي يسعى لكي يتكاثر بالزواج وينمو ويمتد إلى ما بعد الموت بالاتصال الجنسي، هو نفسه الجسد الذي لا يتكاثر (بالتوالد)، وإنما ينمو بخدمة ونمو الأبناء والبنات الروحانيين والروحانيات، ويمتد إلى ما بعد الموت بنعمة القيامة من الأموات.

٤- هكذا نتَّحد بالرَّب إذ نشبع روحياً بطعام الحياة وكأس الخلاص، ونتحد بنعمة الحياة في المسيح، فتتحول الشهوة الجسدية إلى قوة للالتصاق بالرَّب. **وقوة الالتصاق بالرَّب مثل حبلٍ مُثلث مفتول من ثلاثة فتائل، فهو من فتيلة المحبة، وفتيلة الشَركة، وفتيلة الاتحاد.** هذه الثلاثة تنمو معاً فينا. إمَّا حسب قوة الشهوة والفكر والإرادة، وإمَّا أنها تتجلى بنعمة الرُّوح القدس، وتنال الفداء في الرَّب، وتكمل بالإتحاد بالرَّب في سر جسده ودمه.

٥- وإذا وجدنا في قلوبنا رغبات جسدانية (جنسية)؛ فإننا يجب على الفور أنْ نبحث عن الأُمور العظيمة العالية التي كنا نظن، أو لازلنا نظن أنها سامية

وعالية؛ لأن هذا يحرك فينا شهوات مستترة تجعلنا نندفع نحو هدف وغاية عزيزة علينا، لازلنا نظن أنها هدف وغاية لوجودنا في هذه الحياة، وفي أغلب الأحوال تلتصق هذه الرغبة الخفية بالجسد.

٦- لنجلس في هدوء - وبكل انسحاق - نكشف فكرنا للرب وللشيوخ الذين اختبروا حياة عدم الموت وهم لازالوا في هذا الجسد المائت، أي الذين ذاقوا قطرة من بحر محبة المسيح، وشَفَتْ هذه المحبةُ الحبلَ المثلث الذي فينا، فلم يعُد هؤلاء يتحركون بقوة حياة الجسد، أي طلب الأُمور المرتفعة العالية حسب ظنون وشهوات البشر والتي قال الرُّوح القدس عنها «المُستعلي عند الناس رجسٌ عند الرَّب» (راجع لوقا ١٦: ١٥)، بل صاروا يتحركون بالتواضع، أي تواضع المصلوب الذي نراه في عدم الرغبات العالية، وفي تفضيل الرَّب على كل شيء آخر. هؤلاء هم أطباء الروح؛ لأنهم نالوا حكمة المسيح.

٧- **ومتى استطعنا أن نصل إلى جوهر الحبل المثلث، فلا نحاول قطعه؛ لأن المسيح لم يُقطع، بل «صُلِبَ»، والفرق بين الاثنين هو أنَّ القطع تَخَلُّصٌ من شيء لا نريده، أمَّا الصليب، فهو الذي ثبَّت الطبيعة القديمة، وغرسها في قوة الحياة لكي تتحوَّل، ولكي يبتَلعُ الحيُ المائتَ الذي فينا، وهكذا، بالمسامير يُثبِّتُ الرَّبُ الطبيعةَ القديمةَ لكي تقوم حية.**

٨- بالاشتراك في السر المجيد تتجلى فتائل الحبل المُثلث بقوة المسيح المُحيي، أي «فتيلة المحبة»، و»فتيلة الشَركة»، و»فتيلة الاتحاد». وفي المسيح نرى مِن أي نوعٍ مِن هذه الفتائل قد فُتِلَ الحبل المُثلث. فالكبرياء تصنع فتيلة الاتحاد، والشهوة تصنع فتيلة المحبة، والخوف من الموت يصنع فتيلة الشَركة.

٩- تصنع «الكبرياء» كل مستويات الاتحاد حيث تظهر كل ضعفات الطبيعة القديمة في الأُمور التي نريد أنْ نتَّحد بها، والأشخاص الذين نتَّحد بهم.

١٠- أمَّا «الشهوة» بكل أنواعها، فهي تخلق فينا تصوُّر المحبة على النحو الذي نريده، أي حسب شهواتنا.

١١- والخوف من الموت يظهر في الخوف من الوحدة (العزلة)، وهو ما يجعلنا نطلب «الشَركة» حسب ظنون وأوهام الخوف.

١٢- يكمِّل التناول من الأسرار الإلهية وجودنا وكياننا.

فنحن نأخذ بداية وجودنا في المسيح في سر الميلاد الثاني أي المعمودية المقدسة، ونأخذ ثباتنا في المسيح في سر الميرون الإلهي، وننمو بغذاء الحياة والطعام السماوي في الإفخارستيا. هكذا يَكمُل وجودنا وكياننا الجديد. نُولَد ونثبُت في الولادة، وننمو إلى فوق، إلى الرأس الذي منه كل الأعضاء تنمو معاً في ثبات وفي فاعلية وقوة روح الحياة، أي روح يسوع المسيح (راجع كولوسي ٢: ١٩).

ونحن نكمُل في الحياة؛ لأننا نعود إلى أصلنا وسبب وجودنا، وهو ابن الله الكلمة ربنا يسوع المسيح، وفيه نبقى حسب حدود ختم الميرون الإلهي، أي الحدود التي رُسِمَت وطُبِعَت في الخليقة الجديدة بواسطة ابن الله يسوع المسيح، وهي حدود ورسم الصليب المحيي. فقد فَصَلَ الصليب بين الحياة والموت، وبين الفساد وعدم الفساد، إذ أعلن في شكله، هيئة وصورة الحياة الجديدة. فالرأس من فوق نازلة إلى أسفل؛ لكي تحوِّل ما هو سُفلي إلى سمائي، واليمين والشمال معاً في وحدة، أو في ذراعٍ واحدٍ يتقاطع مع السمائي والأرضي مؤكداً أن الرَّب يسوع سوف يجمعُ القديم والجديد لكي يبتَلعُ الحيُ المائتَ، ويحوِّل الشمال إلى يمين، أي ما هو تحت الدينونة وهو الشمال إلى ما هو ممجد فيه أي ما هو في رمز اليمين. وتقاطع الذراعين يُعلِن لنا إنْ ما هو سمائيٌ يفصل بين الدينونة والتبرير، وما هو أرضيٌ ثابت في الأرض؛ لأن الأرض، أي الخليقة الأولى سوف تُعتَق من الفساد بقوة ربنا يسوع المسيح (راجع رو ٨: ٢١).

١٣- أمَّا هيئة وصورة الإنسان الجديد، فهي من فوق من عند الآب، وهي هنا على الأرض، وهي تجمع ما هو تحت الدينونة، وما هو جديد ومجيد؛ لأننا بقوة وعمل الرُّوح القدس ننتقل من الشمال إلى اليمين [٣٣]. **وتُعلِن الخدمة المقدسة**

٣٣- اعتمد المؤلف على تسليم رشم الصليب ونقل اليد من الشمال إلى اليمنى.

هذا التحوُّل عندما يرفع الكاهن القربان إلى فوق ويقول: مجداً وإكراماً للثالوث القدوس، ويدور حول المذبح ومعه الشماس مؤكداً بذلك نزول الطعام السمائي من فوق من عند الآب مختوماً بعلامة الصليب، ومُوَزَّعاً على كل أرجاء الأرض؛ لأن المذبح المقدس هو روحياً، نبع الحياة الذي يُغذِّي كل الخليقة، والذي تدور حوله كل الكائنات، كلٌ حسب رتبته؛ لأنه المركز أو القلب الذي يُوَزِّع الحياةَ على كل أعضاء الجسد. وحسناً قال معلمنا القديس أثناسيوس الرسولي: إنه هو المذبح الناطق السمائي، أي روح الله القدوس الذي يُوَزِّع حياة الابن الوحيد على كل الذين يأتون إليه.

وبعد أنْ يدور الكاهن حول المذبح يعود إلى ناحية الشرق، ويرشم الصعيدة السماوية بعلامة الصليب، وباسم الثَّالوث مؤكِّداً بذلك نوالنا نعمة الحياة الجديدة. ويرتب بعد ذلك الصلاة المقدسة التي ترافق إعلانات الكلمة الإلهية من الأسفار المقدسة مؤكِّداً أن إنساننا الجديد يُعلَن بكلمة الله التي بها خُلِقَت كل الأشياء، ثم يكشف شيئاً فشيئاً حسب ترتيب الكنيسة إعلان الإنسان الكامل، أي يسوع المسيح، فهو يُعلن حسب طقس الكنيسة المقدسة أولاً بتجسده وصلبه وموته، ثم اجتماعه مع الرسل في العُلية لتوزيع جسده ودمه قبل آلامه المحيية مؤكِّداً بذلك عزمه على عطاء جسده ودمه بإرادته وحده، وحسب تدبير الآب، وليس حسب مكر اليهود. **وبعد استدعاء الرُّوح القدس يُعلِنُ رأس الخليقة الجديدة. فهو أولاً من فوق، وثانياً ابن الله، وثالثاً رأس ما هو أبدي، ورابعاً مُخلِّص، وهو قد جاء لكي يجمع الكل معه.**

ونحن على هذا المثال نرى الإنسان الجديد هبة وعطية الآب في ابنه يسوع المسيح، أي **حياتنا الجديدة. فهي أولاً من فوق، وثانياً رتبة بنوة، وثالثاً غُرِسَت في أبدية يسوع المسيح، ورابعاً نحن بداية خلاص وانعتاق الخليقة. وفِينا جميعاً، وليس في فردٍ واحدٍ يُعلَن خلاص الله في يسوع المسيح.**

١٤- وعندما يُقسِّم الكاهن جسد ابن الله الحي لكي يُوزِّعه، فهو يَقسِّم الجسد من اليمين، من رمز إعلان الخلاص الأبدي، ويرفع الثلث ويضعه فوق الثلثين مُعلِناً

بذلك مصالحة الشعب القديم مع الأُمم لكي يُكمِّل حَبل الخلاص المُثلث الذي فيه المسيح رأس الزاوية وقوة الخلاص، والذي فيه جَمَع القديم والجديد معاً، وصَالحَ الكل في جسد بشريته لكي يكون الخلاص ليس حسب الجسد، ولكن حسب الروح، ولا يصبح مَن هو مولود لإبراهيم هو ابن الله، بل المولود من الروح كمثال ولادة إسحق، هو ابن الموعد الذي خُتِمَ بروح الموعد، الرُّوح القدس.

١٥- وحسب ترتيب الآباء الشيوخ لا يفصل الثُلث عن الثُلثين، بل يبقى الجسد مُقسَّماً بعلامة الصليب كاملةً في الجسد كله، **ويُعطى المتناول ميراثه حسب الطقس مُعلناً – الطقس بذلك – أننا من المصلوب نأخذ ميراث الحياة الأبدية** [٣٤]. **وإننا نحن الذين انفصلنا كلٌّ عن الآخر، نعود بالصليب إلى الحياة الجديدة في وحدة واحدة مع المسيح وبالمسيح الواحد الذي لا ينقسم، لكي ننال معاً قيامةً واحدةً.**

١٦- **الصليبُ هو ميراث النفس وقوة الجسد. هو ميراث النفس؛ لأنه علامة المصالحة، والعلامة التي قَتَلَت العداوة. وهو قوة الجسد، لأنه نقل الجسد من الفساد إلى عدم الفساد، ومن الموت إلى القيامة.**

لنأخذ هذا الثبات في السر المقدس الذي فيه نتَّحد بمجد المسيح، أي الصليب، وننال قوة القيامة. وهكذا بالصليب نال وجودنا الإنساني كماله، أي بالمصالحة مع ينبوع الحياة الوحيد، أي الثَّالوث المقدس، وبالوعد بالقيامة من الأموات.

١٧- قال الرَّب بفمه الإلهي: «ينبغي أنْ نصلي كل حين ولا نفتر» (راجع لو ١٨: ١). والفتور يحدث لنا عندما نسكب الماء البارد على الماء الحار، **أي الشهوات، فحتى الصالح منها يجعل نار حرارة محبتنا لله تبرد.** وقال الرَّب أيضاً: «ولكثرة الإثم تبرد محبة كثيرين» (مت ٢٤: ١٢)، مؤكِّداً أنها أحد علامات اقتراب يوم الدينونة.

لنُصلِّ لكي ننال الروح الناري الذي أوصانا الكبير أنطونيوس أنْ نطلبه ليلاً ونهاراً؛ لئلا تبرد محبتنا لله، ونحيا لأنفسنا مثل آدم الأوَّل ونخسر ميراث الحياة الأبدية.

٣٤- كانت سعادتنا – ونحن نترجم هذا الجزء – تفوق التعبير؛ لأن طقس تقسيم الجسد كان يُسلَّم شفوياً، وينقل شفوياً ولا يدون بالمرة. وهذه أوَّل مرة نرى فيها شرحاً مكتوباً.

الصلاة،
ومواهب الرُّوح القدس

١- **ننال جميعاً نعمة سُكنى الرُّوح القدس فينا، وهو الذي يُعلِّمنا الصلاةَ الحقيقيةَ.** فهو يقودنا لقراءة الكتب المقدسة، وكتب تعاليم الآباء القديسين، **ويزرع فينا رغبة اقتناء الحياة المسيحية، أي الحياة حسب إرادة الآب السماوي، وبمثال الابن الوحيد، وبنعمة الرُّوح القدس.**

٢- وينال الكل مواهب وعطايا مختلفة من أجل بناء جسد الرَّب، أي الكنيسة؛ لأن الذي يبني هذا الجسد هو الرُّوح القدس، أي ذات الروح الذي بَنَى، أو كوَّن جسده في أحشاء البتول والدة الإله القديسة مريم.

ويبني الروحُ الكنيسةَ؛ لأن الكنيسة «بناءٌ من الله» (٢كور ٥: ١)، وليس من الناس، وهي تُبنى دائماً حتى نهاية الدهور من الأعضاء الذين يولدون من جديد في سر الانضمام إلى الكنيسة، أي سر المعمودية المقدسة وسر المسحة الإلهية. وهم يأتون من كل مكان وزمان حسب دعوة الله الآب، ويغرسهم الرُّوح القدس في الكنيسة؛ لكي ينال كلٌ ميراثه السماوي في المسيح يسوع ربنا.

٣- وتنوُّع مواهب الرُّوح القدس يجعل شَركتنا في المسيح، وشَركتنا في العطايا السماوية هي طريق الخلاص الملوكي الذي اختاره الرَّب نفسه، وأسسه حسب مسرته.

لنبقَ في الشَركة؛ لأن الخطية والارتداد - بشكل خاص - هو الذي يحرمنا من الشَركة. أمَّا الخطية، فلأنها عمى روحي، أمَّا الارتداد، فهو الموت الحقيقي الذي عاقِبَته النار الأبدية.

٤- وإذا كان كل واحد منا هو «هيكل الرُّوح القدس» (راجع ١كور ٣: ١٦)، فإن ما يُقال عن الواحد يُقال عن الجماعة؛ لأن الروح يسكن في الكل وفي كل واحد على حدة، نعمةٌ واحدةٌ هي سُكناه فينا، ومواهب مختلفة لكل عضو في جسد المسيح الكنيسة المقدسة. واختلاف الأعضاء هو تنوعٍ مقصود؛ لأن المواهب المختلفة تبني الجسد بكل أعضائه، واستجابة كل مؤمن لسُكنى الرُّوح القدس فيه هي التي تجعله يختلف عن مؤمن آخر، مع أن الكل نال نعمةً واحدةً مساوية، لذلك لا يفتخر أحد، ولا يرتفع أحدٌ على آخر، بل لنسجد للثالوث الواحد غير المنقسم الذي تواضَعَ، وسَكَنَ فينا حسب مسرة صلاحه.

٥- ونحن نُصلِّي في الكنيسة المقدسة من أجل المواهب وعطايا [٣٥] الروح التي توهَب للكل؛ لكي نُدرِك من الصلاة مصدرها وغايتها. وهكذا نُصلِّي من أجل أنْ يتجدد فينا الرُّوح القدس، ونقول «جدده في أحشائنا». وطلب تجديد سُكنى الروح لا يعني أنَّ الروح قد فارقنا، وإنما نحن الذين نتركه وننصرف عنه، وعندما نعود إليه نقول «جدد سُكناك فينا». والأحشاء هي داخل الإنسان؛ لأن الرُّوح القدس لا يسكن فقط في الروح، بل يسكن أيضاً في كل أعضاء الجسد، إذا كان هذا الجسد قد نال مسحة الميرون الإلهية. وعندما نقول «لا تطرحني من قُدَّام وجهك»، فنحن نؤكِّد بذلك أنَّ وجودنا في حضرة الثَّالوث، هو وجود نعمة، ولذلك نحن نوجِّه صلاتنا للوسيط الذي منه أخذنا الرُّوح القدس ربنا يسوع المسيح، فهو الذي أرسل البارقليط في الساعة الثالثة على التلاميذ، وهو رأس الكنيسة جسده الذي يمسحه هو بالروح القدس.

٦- لنطلب الروح المستقيم، أي الروح الذي لا يعرف الكذب والنفاق والرياء والغش والخداع؛ لأنه روح الحق وروح الحياة الذي أقام يسوع من الأموات. ولنطلب روح «النبوة»؛ لأننا نحتاج إلى تعليم الأنبياء في العهد الجديد، أي الذين يعرفون كلمة الله الحية التي تُعطى لكل جيل. لقد نال روح النبوة

٣٥- هذه الفقرة هي أطول وأقدم فقرة تشرح لنا طلبات الساعة الثالثة في الكنيسة.

آباء الكنيسة الجامعة مثل معلمنا أثناسيوس والكبير انطونيوس. ونال القديس كيرلس روح النبوة الذي حارب به بدعة نسطور. ونال القديس باخوميوس روح النبوة الذي به دبَّر الأديرة، وعلَّم الأُخوة حياة الشَركة. ونحن لنا أنبياء في كل جيل، وهم معلمو الحق الذين ينالون من فيض روح الحق، شهادة الحق ليسوع المسيح، الحق المتجسد.

لنطلب روح النبوة ونسمع الأنبياء إذا كان لدينا تعليم مضاد لكلمة الله؛ لأن الأنبياء لديهم روح التمييز الذي به ينطقون كلمة الحق، ليس فقط لمقاومة البدع، بل للشهادة لما هو صحيح.

٧- وهذه هي علامات الحق لروح النبوة حسب الحق:

أولاً: تعليمٌ يتفق مع الحق المُعلَن في الكتب السماوية.

ثانياً: شهادةٌ لما استلمته الكنيسة لا سيما الأسرار المقدسة.

ثالثاً: قداسةٌ وسلوك حسب الإنجيل.

رابعاً: التصاقٌ بالصليب كشَريعة حياة.

أمَّا الكبرياء أُم كل الرذائل والعجرفة والتشامخ والتعالي، وهذه أُمور لا تحتاج إلى فحص. والذين يسلكون حسب هذه الرذائل هم أنبياء كذبة ومعلمو الموت وهلاكهم واضح.

يفترس النبي الكذاب الضعفاء، ويقتل الذين يختلفون معه روحياً وجسدانياً إذا استطاع، فهو ذئبٌ في جلد خروف، ولكن أنياب الذئب لا يمكن أنْ تختفي؛ لأنها تظهر واضحةً بعدم المغفرة وحفظ الإساءة وتعيير الآخرين بسقطاتهم.

٨- لنطلب روح العفة، أي روح النُسك الذي يرفعنا فوق الأُمور الأرضية الصالحة والمقدسة؛ لكي نكون ذبائح حية عقلية للآب في ابنه يسوع المسيح وبالرُّوح القدس.

٩- لنطلب روح القداسة، أي العطية التي تجعلنا قدِّيسين حقاً، أي معرفة أنفسنا حسب حق المسيح، وليس حسب حكمة هذا الدهر وحكماء هذا الدهر. هكذا سلك القديسون؛ لأنهم أدركوا أنَّ القداسة هي سلوك الرَّب يسوع المسيح نفسه، وهو لم يسلك حسب حكمة العالم؛ لأنه لو سلك حسب العالم أو حسب حكمة العالم لكان قد جلس مع بيلاطس أو هيرودس يحكم، ولكنه سار إلى الجلجثة بقلبٍ ثابت؛ لأنه كان منذ الأزل واحداً مع الآب، وعندما تجسد جعل ناسوته واحداً معه لكي يؤسِّس الوحدة الجديدة مع الآب من خلال طاعته وقداسته.

١٠- نحن لسنا قدِّيسين حسب منطق الدهر الذي يحكم بالقوة؛ لأنه لا يعرف محبة المصلوب، ونحن لا نسلك بقوة الدهر، بل بقوة الملك الحقيقي ربنا يسوع المسيح الذي جُلِدَ ونال هُزأ الجنود ومات؛ لأنه كان قوياً، ولم يُدرِك العالم قوته، بل اعتبر موته ضعفاً.

١١- وعندما نأخذ التقديس من الرُّوح القدس، فهو تقديسٌ محفوظٌ لنا في المسيح؛ لأن الرَّبَ هو «ضمانُ» العهد الجديد، وهو يضمن هذا العهد بقوة لاهوته ومحبته للخطاة، وشَركته في ذات جوهر الآب والرُّوح القدس. وبهذا الرجاء نحن عالمين أنَّ تقديس الرُّوح القدس لا يمكن أنْ تنال منه الخطية، حتى تلك التي تُرتَكب بعد تناول الأسرار، أو حتى بإرادةٍ واعية؛ لأن النعمة أقوى من الخطية، ولذلك قال الرسول المبارك «لأنه حيث كثرت الخطية زادت النعمة» (رو ٥: ٢٠).

وإذا جاء المُحتال الكذاب، وقال لنا إنَّ النعمة قد ضاعت، وإنَّ خطايانا أقوى من نعمة الله، فلنقُل بكل جسارةٍ «قُم أيها الرَّب الإله، وليتفرق جميع أعدائك، وليهرب من أمام وجهك كل مبغضي اسمك القدوس»؛ لأن أعداء الله الحقيقيين هم الذين ينكرون نعمته ومحبته للخطاة.

١٢- يقول المزمور «بروح رئاسة أعضدني» (مزمور ٥٠: ١٢)، ولذلك نطلب السلطة التي وعد بها الرَّب لكي «ندوس الحيات والعقارب»، ولكي نطرد

الأرواح النجسة. هذا سلطان الرُّوح القدس الذي أُعطي للكنيسة، ولكل مَن يطلب حسب إرادة وعمل ومسرة الرُّوح القدس.

١٣- ليكُن لنا حكمة الشيوخ؛ لأننا رغم أننا نطلب ميراثنا إلاَّ أننا نعود في النهاية إلى نور الحياة ربنا يسوع المسيح الذي أعطانا استنارةً كاملةً فيه هو، ولأنه هو نور حياتنا، ننال النور الحقيقي، أي نور الرُّوح القدس لكي نسير مع الذي قال: أنا هو نور العالم.

والدة الإله الكرمة الحقيقية

١٤- بعد هذه الطِلبات نعود إلى أصل الخلاص، وهو تجسُّد ربنا يسوع المسيح، ونحن نذكر والدة الإله الكرمة الحقيقية؛ لأنها هي الكرمة التي غرسها الرَّب في مُلك إبراهيم وإسحق ويعقوب، **ولما أثمرت عنقود الحياة ربنا يسوع المسيح، صار كل مَن يأكل ويشرب من «ثمار الكرمة» يُحسَب غصناً جديداً يُضاف إلى كرمة الرَّب.**

وحَلَّت العذراء محل شعب بني إسرائيل؛ لأنها أُم الشعب الجديد التي وَلَدَت لنا أصل الحياة آدم الجديد، وإسرائيل الجديد، أي كنيسة الابن الوحيد. ولأن الرَّب تجسد منها، صارت هي الكرمة الحقيقية التي حلت محل الكرمة الأولى، أي الشعب القديم.

أمَّا قول ربنا له المجد بأنه هو الكرمة، فهو قولٌ إلهيٌ يؤكِّد وحدة الرأس، أي ربنا يسوع بالجسد، وعبارات الصلاة «أنتِ هي الكَرمة الحقيقية» تؤكِّد حقيقة تجسد ربنا يسوع من والدة الإله، ودخول الأُمم في ميراث إبراهيم وإسحق ويعقوب، وهو ما يجعل العذراء الأُم التي ولدت الابن الوحيد الذي منه وُلِدَ الشعب الجديد ميلاداً فائقاً بالرُّوح القدس.

١٥- وفي كل مرة نذكر والدة الإله في صلواتنا، نؤكد أننا نؤمن بتجسد ابن الله، ونعزل أنفسنا عن تعاليم نسطور وأوطاخي. وتكريم وتمجيد والدة الإله هو تكريم وتمجيد للمسيح يسوع ربنا؛ لأنه هو تنازل وجاء وتجسَّد منها

وأخذ صورة العبد (فيلبي ٢: ٧)، وهو تمجيدٌ يُقال أيضاً عن نعمة محبة البشر التي أظهرها الرَّب نحو جنسنا الساقط الذي لم يفعل صلاحاً يجعل الله يشفق عليه، بل غَرِقَ في نجاسات الوثنية، وأوحال الخطية، وتحوَّل من عدم الموت إلى الموت، ومن حرية صورة الله إلى عبودية الخطية.

١٦- إننا حقاً نُمجِّد والدة الإله بسبب امتلائها من نعمة سُكنى اللاهوت في أحشائها، وتجسُّد الابن الوحيد؛ لأن هذا يدعونا إلى الإيمان بسُكنى اللاهوت فينا نحن، وتقديسنا وانتشالنا من رُبقة الخطية ونجاسات الموت، والاغتراب عن الله.

١٧- وهكذا رَتَّبَت الكنيسة الجامعة هذه الصلوات، وبشكل خاص صلاة الساعة الثالثة لكي تؤكد أن والدة الإله التي امتلأت من الرُّوح القدس مع الرسل في يوم العنصرة. هي - مع الرسل القديسين - شهادةٌ على دوام نعمة حلول، وسُكنى الرُّوح القدس فينا، نحن الذين صرنا جسد يسوع المسيح.

عطايا الرُّوح القدس التي يجب أن نطلبها دائمًا

١٨- لنطلب سُكنى روح الحق المعزي فينا؛ لكي يُعطي لنا قداسته، ولكي ننمو بقوته نحو ما أخذناه في سر المعمودية، ومسحة الميرون الإلهية.

١٩- يسكن الرُّوح القدس فينا عندما نغتسل في مياه الحميم الجديد، وننال مسحة يسوع المسيح ربنا في أختام الميرون الإلهية.

ولا تضيع النعمة بالمرة؛ لأنها حسب ترتيب كنيستنا المقدسة «خَتمٌ لا ينحل»[٣٦].

ولا تقوىَ الخطية على نعمة الله؛ لأن ما رتَّبه آدم الجديد لا يُشبه ما أُعطي لآدم الأول في شيء، **فقد تفاضلت نعمة الله، وفاضت علينا نحن البشر بسبب تجسُّد الابن الوحيد**، وصار رأس إنسانيتنا هو الابن الوحيد كلمة الله الكائن في حضن الآب دائماً (راجع إنجيل يوحنا ١ : ١٨، وصلاة قسمة عيد الميلاد)، **الذي له الثبات الإلهي في الصلاح، والبقاء في عدم التغيُّر، وأزلية القداسة،**

٣٦- راجع صلاة خدمة المعمودية المقدسة.

ونقاء المحبة، والوحدة التامة مع الآب ومع الرُّوح القدس في الجوهر الواحد غير المُنقَسِم. وهكذا صار لنا رأسَ خلاصٍ لا يمكن مقارنته بمَن سبقوه من الأنبياء والملوك والأبرار؛ لأن كل هؤلاءٍ هم خدام الابن الوحيد ربنا يسوع المسيح.

٢٠- وهكذا ثُبتت النعمة - التي آلت إلينا - في أصلها وينبوعها ربنا يسوع المسيح نفسه، إذ صار هو الوسيط الذي أشَركنا في «كتر الصالحات»، أي الروح المُعزِّي لكي ننال قداسة الرُّوح القدس نفسها؛ لأنه بدون هذه الشَركة لا خلاص لنا ولا رجاء في الحياة السماوية الأبدية مع الثَّالوث القدوس، الذي يُعطى لنا من قداسته، لكي نبقى في شَركة دائمة مع الآب في ابنه يسوع المسيح، وبنعمة الرُّوح القدس المُعزَّي.

والدة الإله والهيكل في الكنيسة الجامعة

٢١- **وحسب ترتيب (حرفياً طقس) الابن الوحيد، نحن نبني الكنائس لكي تكون علامة على سُكنى اللاهوت فينا وفي كل الخليقة؛** لأن الثَّالوث - بالرُّوح القدس - حاضرٌ في كل مكان، ومالئ الكل [٣٧].

والهيكل المقدس وفي وسطه المذبح، هو سُكنى الله مع شعبه الخاص، والمذبح هو شهادة البذل والعطاء الفائق، ولذلك السبب يُغطَّى بقبةٍ خاصةٍ شهادةً لمكانة البذل والذبح الذي تم حسب التدبير، والذي أصله في جوهر اللاهوت.

وخورس المؤمنين شهادة حضور الله في العالم، ويفصله عن خورس الموعوظين باب الموعوظين؛ لأن **خورس الموعوظين هو شهادة للراعي الصالح الذي يجمع الخراف ويأتي بها إلى الحظيرة،** لكي تنال القُوت السماوي، وتحيا حسب مسرة الآب.

٢٢- **ونحن نُقدِّم الذبيحة الإلهية خارج الهيكل للمؤمنين، ليس لأن الهيكل أكثر قداسة من خورس المؤمنين، بل لأن خروج الذبيحة من الهيكل إلى**

٣٧- القطع الثانية من صلاة الساعة الثالثة.

خورس المؤمنين هو شهادة لتواضع ابن الله، وسرعة حركة محبته وتنازله لكي يطلب خرافه ويعطي لها طعام الحياة.

٢٣- وهكذا نقول في صلواتنا: إذا وقفنا في هيكلك المقدس نُحسب مثل القائمين في السماء، أي مثل الرُّتب السماوية؛ لأننا نحن نحمل عرش الله مع الشاروبيم والسارافيم، بل نحن نتقدَّم عليهم بسبب تجسُّد الابن الوحيد الذي رفع رتبة البشر، وجعلها أعظم من رتبة الملائكة بمقدار عظمة ومجد الابن الوحيد نفسه، فنالت الإنسانية هذه الكرامة الفائقة بسبب إتحاد اللاهوت بالناسوت في أحشاء القديسة مريم.

ولما تنبأ حزقيال النبي وقال إنه رأى باباً في المَشرِق دخل منه رب القوات وخرج وظل الباب كما هو لم ينثلم (حزقيال ٤٤ : ٢)، صارت والدة الإله هي باب السماء الذي دخل منه ربنا يسوع متأنساً إلى العالم، وصارت شهادةً على تنازل الابن الوحيد.

٢٤- **وأوَّل هيكل للشعب الجديد هو والدة الإله نفسها؛ لأن الرَّب نفسه سكن فيها بملء حريته وسلطانه، مُعلِناً حريته ومحبته وقبوله الدائم الأبدي للإتحاد بالطبيعة الإنسانية واضعاً بذلك أساس «العهد الجديد»**. وجاء الرَّب لكي يبني بيته الجديد (راجع عب ٢: ١-٦)، أي الشعب المختار للتبني ووراثة المواعيد التي سبق الرَّب وتكلم عنها بواسطة الأنبياء القديسين.

ولما تجسد من البتول ظل في أحشائها حسب حدود الطبع الإنساني تسعة أشهر، احتمل فيها ضيق الأحشاء المقدسة، وذاق فيها محدودية الطبع الإنساني. وحقاً ظل ذلك الهيكل الذي رمز له هيكل العهد القديم، هو هيكل العهد الجديد الذي يُعلِن لنا محبة البشر.

ولما بنى الآباء الكنائس بعد زوال الاضطهاد بحكم الملك البار قسطنطين، **رتَّب الآباء بناء الهياكل اعترافاً بتجسد الابن من العذراء، وتأكيداً على محبته للبشر وتنازله؛ لأنهم جعلوا في الهيكل المذبح المقدس الذي يُعلِن لنا بصوتٍ تسمعه الخليقة كلها: إنَّ الله واهب الحياة الجديدة للخطاة،**

وباعث الموتى من القبور، ومِن أسرِ الخطية.

٢٥- هذه الثقة في مراحم الله التي أعلنها في تجسده، وفي سُكناه في هيكل العهد الجديد، والدة الإله القديسة مريم، وفي هيكل شعبه، أي ذلك الذي يصنعه هو من جديد، ويبنيه من جسد ودم ابنه الوحيد، أي الطبيعة الجديدة التي تُعطى لنا في المعمودية المقدسة، وتنال ختم الرُّوح القدس في سر المسحة بالميرون، هذه الطبيعة التي لم تولَد من لحم ودم، ولا جاءت بمشيئة إنسان، ولا هي ثمرة زواج، بل مُعلَنةٌ في تجسد الابنِ الوحيد حسب كلمات الإنجيلي يوحنا (يوحنا ١: ١-١٤).

وإذا كان لنا هذا المجد الفائق، فلماذا نقول: «يا والدة الإله افتحي لنا باب الرحمة»؟ والجواب هو أننا نطلب أنْ ندخل معها في ذات المجد الذي نالته بعد صعودها إلى السموات مع ابنها الحبيب بعد رقادها.

نحن لا نزال نعيش في العالم، رغم أننا ملوكاً وكهنةً، ولنا ميراث القديسين، وسَكَن فينا الثَّالوث، لكننا لم ندخل بعد الكمال، أي كورة الأحياء إلى الأبد، لذلك نُصلِّي لكي ننال ذات المجد الذي أخذته والدة الإله، ولكي تفتح لنا الباب، أي باب الرحمة بشفاعتها المقدسة لكي يكون لنا شَركةً معها.

الإنسان الجديد في المسيح هو هيكل الله

٢٦- ولما سكن الرَّب، وحل في أحشاء البتول ووُلِد منها حسب التدبير، أعلن لنا الولادة الروحية بميلاده من الرُّوح القدس ومن العذراء القديسة مريم، وأسَّس بذلك الميلاد «الفوقاني» من الماء والروح؛ ليكون لنا ارتقاءً نحو عطية البنوة.

وسر الميلاد من فوق في المعمودية المقدسة يأخذ جذوره من ميلاد الرَّب نفسه من العذراء مريم، وعن هذا يقول الرسول «ولأنكم أبناء أرسل الله روح ابنه إلى قلوبكم صارخاً أبَّا أيها الآب» (غلا ٤: ٦). وقبل هذه الكلمات الرسولية قال: «وفي ملء الزمان أرسل الله ابنه مولوداً من امرأة، مولوداً تحت الناموس لننال التبني»، وأعلن بذلك أصل ولادتنا الروحية؛ لأننا نولد من أبٍ وأُمٍ

حسب الجسد، ولكن نولَد من الله من الرُّوح القدس حسب الروح؛ لأن الرَّب لما تجسَّد سلَّم هذا الأساس للأُقنوم الثالث، وجعل وجوده الإنساني الذي كوَّنه الرُّوح القدس هو بداية وجودنا نحن في أُقنوم الرُّوح القدس، أي في الابن المتجسد، ولما وُلِدَ من العذراء القديسة مريم، صار وجودنا الإنساني في الرُّوح القدس هو للولادة من فوق بواسطة الابن كوسيطٍ ورأسٍ جديد للإنسانية. وبولادة ربنا يسوع المسيح من الرُّوح القدس أعطانا الرَّب الذي غرس الجنس البشَّري الجديد في الرُّوح القدس أنْ ننال ميلاداً مثل ميلاده، أي حسب المثال المُعلَن في سر ميلاده.

٢٧- نحن نولَد فيه (المسيح)، وبه من الرُّوح القدس، ليكون لنا ذات مجد آدم الثاني، ولكي نُصبح هيكلاً لله الآب يبنيه يسوع المسيح من لحمه وعظامه (أف ٥: ٣٠)، وبمسحة الرُّوح القدس، ويؤهله لتقديم القربان السمائي الروحاني، أي حياتنا العقلية (رو ١٢ : ١).

٢٨- لنا مذبحٌ سمائيٌ هو إرادتنا، وهيكلٌ روحانيٌ هو كياننا كله، وكاهنٌ خاصٌ هو تقديسنا لخدمة الرَّب حيث نقدِّم القربان كل يوم، وهو ذبائح الحمد والشكر التي يُسَر بها الله والتي نرفعها كل يوم في اسم رئيس الكهنة وأُسقف نفوسنا يسوع المسيح (١ بطرس ٢: ١-٥).

٢٩- وذبائح الصلاة والحمد والتسبيح تأخذ قوتها وأصلها من الذبيحة الأعظم ربنا يسوع المسيح الكاهن والذبيحة، وتنال قوتها في المسيح؛ لأنه قرَّب الإنسان إلى الله بمصالحة موته المُحيي، وقدَّس الإنسان في الرُّوح القدس، وجدَّد الطبع القديم، فصارت كل خدمة الرَّب الكهنوتية خاصة بالحياة العقلية الناطقة (حرفياً، الناطقة، وأضيفت كلمة العقلية للإيضاح).

٣٠- يسكن الروح فينا لكي يرتِّب خدمة تقديم الذبائح اليومية في هيكل حياتنا الذي بناه الرَّب، وهو ما يُسَر به الرَّب ويفرح. وعندما قال الرَّب إنَّ السماء تفرح بخاطئٍ واحد يتوب (لو ١٥: ٧)، فقد كشف عن شَركة الهيكل الجديد في خدمة وتسبيح السمائيين الذين يراقبون سيرتنا ويشتركون معنا في كل

أفراح وأتعاب الحياة، ويحملون ذبائحنا إلى الآب؛ لأننا نحن منذ معموديتنا نُقرِّبُ قرباناً على المذبح الناطق السمائي بواسطة خدمة الملائكة ورؤساء الملائكة [٣٨] القديسين، ومنذ ذلك نبقى في شَركةٍ مع السمائيين حتى ننال كمال الشَركة في الدهر الآتي.

٣١- ولما بنى الرَّب يسوع هيكله في كل نفسٍ تؤمِن به، وأعادنا إلى شَركة الرُّوح القدس، وغرسنا من جديد في الطبع السمائي العقلي الذي لا يموت، صارت ذبائحنا ترافق ذبيحة سر الشكر، وتأخذ ترتيب الرَّب لهذا السر الفائق كمثال لذبائح الصلاة المقبولة في يسوع المسيح ربنا.

٣٢- لأننا في الخدمة الإلهية نبدأ بصلاة الشكر حسب ترتيب أبينا القديس مار مرقس، وبعد ذلك بطلب مراحم الله (المزمور ٥٠)، ثم التوسل بصلاة المزامير التي بها ندخل حياة ربنا يسوع المسيح وتجسده وموته المحيي وقيامته، وانحدار الرُّوح القدس في الساعة الثالثة.

وحسب تسليم الشيوخ كانت صلاة «أيها الملك السمائي المعزي» تسبق صلاة المزامير لكي يُعطي لنا الرُّوح القدس أنْ نرتل بفهم واستنارة [٣٩].

وحسب ترتيب السر السمائي تسبق تلاوة الأسفار المقدسة شَركتنا في السر، ولذلك نقرأ الأسفار المقدسة، والقِطَع المُختارة قبل أن ندخل شَركة إتحادنا برئيس الكهنة لكي نرفع قربان التسبيح، والحمد باسمه للآب القدوس.

---

٣٨ -عتمد الأب صفرونيوس على صلاة المعمودية حيث تقول الصلاة ''باسم الآب والابن والرُّوح القدُّس وشكر شعبك .. وعبيدك الذين قدموا لك بنيهم على مذبحك المقدس السمائي .. اقبلهم بواسطة خدمة ملائكتك ورؤساء ملائكتك الأطهار'' وهذا النص قديم جداً وكان مستخدماً في زمن العلامة اوريجينوس حيث يظهر ذات النص في العظة على سفر حزقيال النبي.

٣٩- يطلب الكاهن حلول الرُّوح القدس في صلوات الاستعداد في القداسات الثلاثة. وبمقارنة ما يكتبه الأب صفرونيوس لصلوات السواعي عند الروم الأرثوذكس نجد أن صلاة أيها الملك السمائي المعزي تسبق صلاة المزامير.

الذبائح الروحية التي نقدّمها كل يوم

١- كانت الذبائح الحيوانية هي سمة العهد القديم، وتقدُمة الشَريعة الموسوية، وقربان من الحيوانات والدقيق والزيت حسب أسفار موسى. و لم تكن عبادة روحية إلى أن جاء الأنبياء وتنبأوا بزوالها (راجع أشعياء ١: ١١).

٢- وأخبر الأنبياء عن الذبيحة المقبولة، تلك التي تُقدَّم بالطاعة والمحبة، والاعتراف بالإيمان وسيادة خالق كل الأشياء. ولذلك يعترف داود بعد خطئه بأنه لن يُقدِّم ذبيحةً حيوانيةً؛ لأن الذبائح كانت تُقدَّم عن الخطايا التي ترتكب عن «سهو». أمَّا خطية داود، فقد كانت قتلاً وزنىً في آنٍ واحدٍ، أي خطية بالإرادة وعن عمد، ولكنه وهو في حُفرة الموت، أدرك إنَّ الله يقبل «القلب المنكسر»، وإنَّ الذبيحة الحقيقية ليست المحُرقات، بل «الروح المنسحق»، وإنَّ «ذبائح العدل» أي الأعمال التي تصدر عن طاعةٍ، هي أفضل ما يمكن أنْ يُقدِّمه مَن يعبد الله. هذه الأعمال هي أعمال المحبة، هي ثمرة حلول روح المحبة في القلب، وهي النعمة التي تحُرِّك الإنسان نحو البذل.

٣- لنقدم ذبائح المحبة، وهي أنْ نُصلِّي من القلب، صلاة يسوع لكي تصبح هذه الكلمات «يا ربي يسوع المسيح»، اعترافٌ بالإيمان والبذل، فننال بذلك هبة تقديم أوَّل الذبائح الروحية.

لنصرخ قائلين «ارحمني أنا الخاطئ»، فنُقدِّم ذبيحةً عن خطايانا، أي الذبيحة التي بها ننال الرحمة بالإيمان بيسوع المسيح.

٤- لنقدِّم ذبائح التسبيح عندما نعبد مع الخليقة، ونحمد الرَّب الذي جاد علينا بالحياة. وعندما نسبِّح مع الخليقة، مجد الثَّالوث القدوس، فإننا ننال نعمة التسبيح؛ لأن معاينة مجد وعظمة الله الآب هي إعلان روح يسوع المسيح الذي يقودنا إلى الآب.

وهكذا إذا سمِعنا غيرنا – مِن غير المؤمنين بالمسيح – يسبِّح ويشكر الله، فإننا يجب أنْ نُدرِك على الفور أنَّ روح يسوع يقودهم إلى معرفة الآب. وإذا ظلوا في جهلٍ، وعاشوا في عدم معرفةٍ، فإن تسبيح هؤلاء هو ذبيحة حمد وشكر تشهد لنا، وتشهد بانسكاب نعمة الله على الكل، وتُحذِّرنا من البقاء في عدم معرفة الآب السماوي.

٥- **لنذبح نية البقاء بدون يسوع، أو بعيداً عن يسوع، حتى تكون حياتنا مقبولةً في يسوع المسيح، ومحفوظةً بقوة صليبه المحيي.**

الذبائح،
وذبيحة سرّ الإفخارستيا

١- عندما ننال سر الشكر، فإن السر الإلهي يجمع ذبائح الحياة، ويجعلها واحدةً في سر الذي قَدَّمَ ذاته للآب ذبيحةً كاملةً بالرُّوح القدس، الذي وصفه الرسول "بالروح الأزلي" (عب ٩: ١٣) مؤكداً أزلية الذبح، حسب تدبير الله المعلن في يسوع المسيح.

٢- **ولأن يسوع المسيح هو كل شيء، فهو الرأس، وهو الحياة، وهو الرجاء، وهو الكاهن، وهو الذبيحة، وهو على مذبح روح الآب، أي الرُّوح القدس ممسوحاً من الآب السماوي ثابتاً في طاعة ومحبة الآب، ولذلك يُمسَح كرأس الإنسانية الجديد لكي ينال كل شيء فيه ثباتاً وبقاءً جديداً حسب تدبير الله الآب الذي جاء لكي يَرُد الخليقة إلى الراعي الصالح ابنه الوحيد يسوع المسيح.**

٣- وكل ما نقوم به من أعمال بإيمان هي من يسوع المسيح رأس الخلاص، وكل اعتراف حتى بالخطية، إنما هو اعتراف نقدِّمه بواسطة رأس الجسد، أي ربنا يسوع المسيح؛ لأننا به - وهذا ما نقصده بكلمة «اسمه»؛ لأن الاسم هو إعلانٌ عن الأقنوم، كما أنَّ الأُقنوم هو قوة الاسم - نقدِّمه.

فلنقدم ذبائح الحمد والتسبيح في اسم رئيس الكهنة ربنا يسوع المسيح.

٤- **وعندما نقدِّم القربان المُقدَّس، فإن كل الخليقة المنظورة وغير المنظورة تُجمَع معاً في تقدُمة الكنيسة الجامعة، أي تقدُمة ربنا يسوع المسيح؛ لأنها صادرةٌ عن إرادة الآب، ومُعلَنةٌ في ابنه الوحيد، وتنال كمالها - أي التقديس - بالرُّوح القدس.**

فهي من إرادة الآب الذي سُرَّ أنْ يجمع في ابنه كل شيء تحت السماء، أي ما على الأرض، وما في السماء، أي القوات السمائية، لكي يكون رأس الخلاص لكل المنظورين وغير المنظورين. هذه الإرادة هي القوة، وهي مصدر قربان الكنيسة. هي القوة التي تجمع حسب تدبير الثَّالوث، وهي مصدر قربان الكنيسة؛ لأن الآب سُرَّ أنْ يحل ملء اللاهوت في ابنه يسوع المسيح (راجع كولوسي ٢: ٩).

وهكذا حسب إرادة ومسرة الآب يجمع الآب تحت رأس، أي تحت قيادة وسيادة كاهن الخليقة كلها ربنا يسوع المسيح كل الأشياء؛ لأنه حدد حدود الطبائع، وفرض عليها طبيعة لا يمكن أنْ تتعداها، ولما جاء «زمان التجديد» أعطى الرَّبُ الخليقةَ الجديدةَ طبيعةً جديدةً فيه، فصارت كائنة بقوة ومسرة ذاك الذي منه كل كينونة، ونقل الطبيعة من الموت إلى الحياة، وأعطى للخليقة فرح الانعتاق من رباطات الفساد، وغرس في المياه نعمة الولادة من فوق، وأعطى للخبز أنْ يكون مثالاً يُعطي به حياته الواهبة الوجود والبقاء إلى الأبد. فنقل الطبيعة من الوجود إلى العطاء بقوة روح التقديس، وجمع حدود الطبائع، وأعاد رسم حدودها لكي تصبح خليقةً جديدةً فيه.

٥- وعندما يقول الرسول عند دخول «البكر إلى العالم» (عب ١: ٦)، لم يطلب ذبائح وقربان من الخليقة الأولى، بل طلب ذبيحةً واحدةً، وهي ما يقول عنه الرسول «لكن هيأت لي جسداً» (عب ١٠: ٥)، فصار جسد الابن هو علامة ظاهرة على إرادته لخلاص كل البشر، ولذلك يكمِّل الرسول قوله الملهَم من فوق «وبهذه المشيئة نحن مُقدَّسون بتقديم جسد يسوع مرةً واحدةً» (عب ١٠: ١٠).

مشيئةٌ واحدةٌ، وجسدٌ واحدٌ، وربٌ واحدٌ، ذبيحةٌ واحدةٌ، مذبحٌ واحدٌ، قربانٌ واحدٌ، مسحةٌ واحدةٌ، ثالوثٌ واحدٌ، كل هذه هي ينابيع الاتحاد والوحدة.

٦- **ونحن لذلك عينه نقدِّم الذبائح الروحية في ذبيحةِ الواحد ربنا يسوع المسيح، الذي به نتقدَّم إلى الآب، حاملين فينا رسمَ صورته، مُتَّحدين به بالإرادة، أي إرادته هو، ممسوحين فيه بالرُّوح القدس، ثابتين فيه بفضل أمانته لا بسبب نقاوتنا؛ لأننا «لا نتكل على برنا»، بل على هبة الحياة التي أُعطيت لنا فيه.**

٧- مشيئةٌ واحدةٌ قَدَّست الطبع الإنساني بالإتحاد به، وبالموت على الصليب، وبمسحة الرُّوح القدس، وبالقيامة أعطت حياة عدم الموت.

٨- جسدٌ واحدٌ يجمعه الرَّب بإرادته الحية التي لا تموت وبكلمة قدرته (عب ١ : ٣)، وباتحاده بنا، وبفيض الحياة الإلهية التي فيه.

٩- ربٌّ واحدٌ يسوع المسيح الذي في الكل، رأسٌ واحدٌ لجسدٍ واحدٍ.

١٠- ذبيحةٌ واحدةٌ هي تقديم جسده ودمه بالإرادة وبالمحبة وبالحرية، وهو قربانٌ واحدٌ، أكمله بالطاعة وبالتقديم الحُر غير المقيَّد؛ لأن القيد على حرية الابن لا يجعل «البنين أحراراً» (يوحنا ٨: ٣٦).

١١- **ثالوثٌ واحدٌ هو ينبوع كل شيء. هو مؤسِّس الوحدة على مثال وحدة جوهره، منه تفيض الحياة، تُوهَب في عطية التبني، وتتقدَّس بالرُّوح القدس المنبثق من الآب لكي يعود إليه كل الذين نالوا التبني والتقديس.**

وكما يولد الابن من الآب أزلياً، وينبثق الرُّوح القدس من الآب أزلياً، هكذا نولَد نحن على مثال ولادة الابن، ونتقدَّس بالرُّوح القدس، أي يكون لنا، أي لكل واحد منا الشَركة الخاصة به في المسيح، والشَركة الفريدة التي تُعطى في الابن بالرُّوح القدس لكي يبقى كل عضوٍ متمايزاً عن غيره من الأعضاء، تمايُز تقديس، لا تمايُز انفصال، تمايُزٍ كعضوٍ في الجسد الواحد الذي هو مثال وحدة جوهر الثَّالوث القدوس.

١٢- وكما أنَّ الرَّب يسوع المسيح واحدٌ مع الآب والرُّوح القدس؛ لأن الإرادة المثلثة للثالوث القدوس هي إرادةٌ واحدةٌ، هكذا هو أيضاً الإله المتجسد

الذي له إرادة واحدة من إرادتين، كما هو طبيعةٌ من طبيعتين، إذ تحفظ كل طبيعةٍ إرادتها في الرَّب الواحد حسب مسرة وحسب إتحاد أُقنوم الابن المتجسد بالطبع البشري، **فهو واحد لا يمكن أنْ ينقسم إلى اثنين من بعد الاتحاد، وتبقى فيه الطبيعة الإنسانية «بغير اختلاط ولا امتزاج ولا تغيير» لكي ينقل محبته الأزلية للآب، إلى الطبع البشري، ويحوِّل محبة الإنسان لذاته التي هي سبب الانفصال إلى محبة للآب، وينقل آدم الأوَّل من محبةٍ خاصة ناقصة لذاته إلى محبةٍ كاملة مقدسة للآب، فيترع العداوة من الطبع الإنساني بالإتحاد به، ويضع البذل في الطبع الإنساني بالصليب الذي قَبِله «بإرادته وسلطانه وحده»** [٤٠]، **فرسم بذلك سر التدبير الإلهي، إذ جعل جسده يقبل الموت، وذاق بروحه وفكره الموت؛ لأنه قبله بإرادته حسب قوله الإلهي «لي سلطان أن أضعها»** (يوحنا ١٠: ١٨)، **لكي يغلب الموت الذي دخل خِلسةً إلى الطبع الإنساني وساد عليه كملك** (رو ٥ : ١٤)، **ولكن لما قَبِلَه الابن الوحيد على الصليب، أعلن لنا حقيقة تجسده، فقد قَبِلَه إلهاً مُتجسِّداً، أي ينبوعَ حياةٍ لا تموت، ولذلك قَبِلَ الموت بسلطان إرادته، وهو ذات السلطان الذي يحفظ الخليقة من العدم، ويعطي لها الوجود والحياة، سلطان الإرادة التي تُحيي ولا يمكن أن تموت، ولكن من أجل عظم محبته للبشر، قَبِلَ ذلك الغريب، أي الموت لكي يضع الموت تحت سلطانه، ويحوِّله إلى خادم بعد أنْ كان لصاً يسرق الحياة، ويحوِّل الموتَ إلى عدوٍ للخطية بعد أن كان الموتُ هو عرش الخطية، وينقل الموت إلى سر حميم الميلاد الجديد، أي المعمودية، لكي يبيد الموتُ جسم الخطية، ويخلع الموت الطبيعة القديمة.**

وحقاً عندما نقول «بالموت داس الموت»، **فإننا نعني أن سلطان الرَّب على الصليب جعل الذبح يؤدِّي إلى الحياة؛ لأن الابن عندما قَبِلَ الموت، دخل الموت إلى الطبيعة الإنسانية، التي لا يمكن أنْ تنفصل عن لاهوت الابن، ودخل بسلطان الابن وإرادته، وقَبِلَه الابن بقوة لاهوته، فتحوَّل فيه إلى**

٤٠- راجع عبارة القداس الكيرلسي "والموت الذي قبله بإرادته وسلطانه وحده".

قوةٍ تهدم القديم، لكي تؤسِّس الجديد، وانتقل الموت من ظلام الفساد والانحلال، إلى نور الخلاص والفداء؛ لأن إتحاد اللاهوت بالناسوت بدون اختلاط جعل الطبيعة الإنسانية تنال الغلبة على الموت، وبغير امتزاج نقل الحياة الإلهية غير المائتة إلى الناسوت، وبغير تغيُّرٍ إذ قامت الطبيعة الإنسانية في الابن قيامةً أبديةً هي أساس قيامتنا.

١٣- نقل الابنُ الموتَ من ظلمة الانحلال والفساد إلى نور خلاص؛ لأنه قال بفمه الإلهي: إن أراد أحد أن يأتي ورائي، وأن يصير لي تلميذاً، فلينكر نفسه، أي يقبل الموت، ويحمل مذبح محبته في قلبه دائماً، أي أن يحمل صليبه ويتبعني، أي يصير مثلي قرباناً دائماً للآب. وهكذا صار الموتُ العدو القديم، خادمَ الخلاص، وصارت ذبائح حياتنا تبدأ بقوة موت الرَّب الذي ننناله في الأسرار الإلهية بقوة وفعل الرُّوح القدس.

الإفخارستيا
تكمّل المحبة الإنسانية الناقصة

١- توجد المحبة في كل إنسان مهما كان طبعه، ولكنها ناقصةٌ في كل إنسانٍ؛ لأنها دائماً تضع الذات أولاً، وترفض شَريعة الصليب، فتسقط في النقص، أي تفقد غايتها إذ تتجه إلى الذات رغم أنها نابعة من الذات من أجل الشَركة، ولكن عندما ترفض الشَركة تطوح بالذات في بئر الخطايا، وتحوِّل الإنسان إلى عبد.

٢- المحبةُ هي عطية الله الذي خلق الإنسانَ على صورته ومثاله، وهي ذات العطية الكاملة التي تجعل الإنسان شريكاً للثالوث في محبته، ولكن الخطية حوَّلت المحبة من الشَركة إلى الاحتفاظ بالذات، فقتلت قوة المحبة في الإنسان، وجعلته يخاف من المحبة ويرهب العطاء.

٣- من أجل ذلك جاء ابن الله لكي يجدِّد المحبة، ويحوِّلها من جديد بعطية الحياة الجديدة إلى محبة جديدة فيه، ولذلك يقول الإنجيلي: إنَّ وصية المحبة الجديدة هي ذات الوصية الأولى القديمة، ولكنها الآن صارت وصيةً جديدةً بسبب عطية الرُّوح القدس، وبسبب إعلان الصليب والقيامة كشَريعة وأساس الحياة الجديدة.

٤- قَبْل الرَّب، أي قَبْلَ تجسُّده، كانت المحبة تعمل للموت، أمَّا بعد الرَّب، أي بعد تجسُّده وصلبه، صارت المحبة تعمل للحياة، إذ تجددت فتائل الوجود الإنساني المثلثة، أي فتيلة المحبة القديمة، وفتيلة الشَركة، وفتيلة الاتحاد.

لقد أشعل الرَّبُ نار الشَركة بعطية الرُّوح القدس، وأشعل الاتحاد عندما اتحد

بالطبع الإنساني جسداً وروحاً وعقلاً ناطقاً وإرادة بشَّرية. ووحَّدَ في نفسه نار المحبة، ونار الشَركة ونار الاتحاد، فصارت ناراً واحدةً، أشعلها الرَّبُ، وقال عنها «جئت لكي ألقي على الأرض ناراً» (لو ١٢: ٤٩)، وكان يقصد تلك النار التي ظهرت مثل ألسنةٍ في يوم الخمسين.

جاء الرُّوح القدس بمواهب وعطايا جديدة لم تعطَ للأنبياء، وكانت عطية المحبة هي جوهر العطايا كلها، وسكب الرُّوح القدس المحبة الإلهية في القلوب (رو ٥: ٥)، فصار الاتحاد بالرَّبِ من الرَّب نفسه وفيه هو، وصارت الشَركة من الرَّب نفسه، وشَركة فيه هو وفي الآب بالرُّوح القدس.

٥- وهكذا يقدِّس الرُّوح القدس قربان الكنيسة الجامعة؛ لأنه يجمع الكل معاً في الخدمة (الليتورجية) الإلهية، إذ يجمع أعضاء جسد المسيح الواحد، أي المؤمنين به، وهؤلاء هم الذين نالوا ختم المعمودية ومسحة الميرون الإلهي وتغذُّوا بالمن العقلي السماوي، أي جسد الرَّب ودمه.

وعندما نقول إنَّ الرُّوح القدس يُقدِّس قربان الكنيسة، فإننا نقصد أنَّ الصلاة وكلمة الله، وقراءة الأسفار وتقديم القربان هو عملٌ يجمع المؤمنين معاً، وخدمةٌ توحِّد إرادة ومشيئة الكل، ومناسبة المصالحة، وتوبة عن «الأعمال الميتة» (عب ٩: ١٤)، أي تلك التي تؤدِّي إلى الموت، أو التي الموت كامنٌ فيها.

وهكذا يقود الرُّوح القدس المؤمنين إلى وحدةٍ بتقديم القربان، وإلى اكتشاف أصل حياتنا في المسيح؛ لأن الرَّب أسَّس سِر الشَركة في جسده ودمه لكي ننمو في الفهم والإدراك ونعرف أن حياتنا في المسيح ليست منّا ولا هي كائنةٌ فينا بقوة الإرادة، بل هي عطية الرُّوح القدس لنا في المسيح يسوع ربنا.

٦- وعندما نجتمع معاً في القداس الإلهي، فإننا ننال كمال محبتنا الناقصة:

أولاً: لأننا ندرك من دعوة الرَّب لنا أنه هو الذي أحبنا، فهو الذي يقول لكل واحد منا «خذوا كلوا هذا هو جسدي».

وثانياً: لأننا ندرك أنه هو وحده الطعام الذي يقوِّي ويقُوت كياننا الإنساني المنظور وغير المنظور، الجسد والروح.

ثالثاً: لأن محبتنا ناقصة، فنحن نتعلم المحبة من طقس الإفخارستيا، أي الطقس الذي به نتناول سر الشكر؛ لأننا بالحضور معاً نوحِّد إرادتنا، وبالتناول معاً نبلغ سِر الاتحاد في المسيح.

رابعاً: وبالتناول نستمد كياننا الجديد من نعمة سر الشكر، فندرك أنَّ ما فينا هو عطية الله، فلا نصل إلى كبرياء النفس التي فيها مذلة الخطية.

-٢٠-

تناول الجسد، وشركته في الأسرار الإلهية

١- نتناول جسد الرَّب ودمه بالجسد وبالروح.

بالجسد؛ لأننا نأكل. وبالروح؛ لأننا نتَّحد وتشتعل فينا نار المحبة الإلهية.

٢- نتناول بالجسد؛ لأن الجسدَ مدعوٌ إلى حياة الدهر الآتي بعد القيامة، ولذلك يُعطي جسد الرَّب ودمه بالخبز وبالخمر، وهما من عناصر الأرض؛ لأن الترابي تحوَّل وتمجَّد، وصار سمائياً.

الخاتمة

لقد كتبت في إيجازٍ شديدٍ كل ما وصلنا من الشيوخ الذين لا زال بعضهم يعيش معنا. ولنا رجاءٌ في أنْ يكمِّل القارئ ما نقص.

نسخ هذه الرسالة المطوَّلة الأب زكريا عن نسخة الأب تيموثاوس المتوحد، وهي النسخة الأصلية المدونة بخط الأب صفرونيوس، نيَّح الرَّب روحه الطاهرة في فردوس المسيح.

سلامٌ ونعمةٌ للقارئ والناسخ والعامل بما فيها من تعليم.

+ + +

تمت ترجمة هذا النص بمساعدة نيافة الأنبا مكسيموس مطران القليوبية المتنيح، وتمت المراجعة في ٢ يناير ١٩٨٤. وتمت إعادة كتابة النص في ١٧ ديسمبر ١٩٨٩، ٢ ديسمبر ١٩٩٨.

جورج حبيب بباوي